T.C.
ÇANAKKALE ONSEKİZ MART ÜNİVERSİTESİ
SOSYAL BİLİMLER ENSTİTÜSÜ
TEMEL İSLAM BİLİMLERİ ANABİLİM DALI

KUR'AN KIRAATLERİNDE BELAĞAT İNCELİKLERİ –KEHF SÛRESİ ÖRNEĞİ-

Yüksek Lisans

Hazırlayan
Mohsin Muataz Mustafa ALOBAIDI

Tez Danışmanı
Dr. Öğr. Üyesi Mehmet YILMAZ

Çanakkale – 2019

TAAHHÜTNÂME

Yüksek Lisans Tezi olarak sunduğum "Kur'an Kıraatlerinde Belağat İncelikleri –Kehf Sûresi Örneği–" - التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية -سورة الكهف أنموذجا- " adlı çalışmanın, tarafımdan, bilimsel ahlak ve geleneklere aykırı düşecek bir yardıma başvurmaksızın yazıldığını ve yararlandığım eserlerin kaynakçada gösterilenlerden oluştuğunu, bunlara atıf yapılarak yararlanılmış olduğunu belirtir ve bunu onurumla doğrularım.

23/08/2019

Mohsin Muataz Mustafa ALOBAIDI

Çanakkale Onsekiz Mart Üniversitesi
Sosyal Bilimler Enstitüsü Müdürlüğü'ne

Mohsin Muataz Mustafa ALOBAIDI'ya ait *Kur'an Kıraatlerinde Belâğî Yöneliş-Kehf Sûresi Örneği*-adlı çalışma, jürimiz tarafından Temel İslam Bilimleri Anabilim Dalı (Arap Dili ve Belağatı Bilim Dalında) YÜKSEK LİSANS TEZİ olarak oybirliği/oyçokluğu ile kabul edilmiştir.

Üyeler	**İmza**
(Danışman) Dr. Öğr. Üyesi Mehmet YILMAZ	
Prof. Dr. Ramazan DEMİR	
Doç. Dr. Şener ŞAHİN	

Tez No : 10292831
Tez Savunma Tarihi : 23.08.2019

ONAY

Prof. Dr. Şerif KORKMAZ
Enstitü Müdürü

16../03/2019

ملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة الأوجه البلاغية في سورة الكهف وفق الأوجه المتواترة التي وردت في القراءات العشر؛ لاستخراج أسرار ما يحتويه القرآن الكريم من جمال بلاغي، وسورة الكهف على وجه الخصوص. ويتكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول تناولت فيه أبرز الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية، وهي الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية، ثم الفصل الثاني الذي جاء شارحا للتوجيه البلاغي وعلاقته بالقرآن والقراءات، والفصل الثالث تناولت فيه مظاهر البلاغة في سورة الكهف من خلال القراءات القرآنية. وجاءت الخاتمة لتبين أهم ما توصل إليه البحث، ذاكرا أهم النتائج والفوائد.

ÖZET

KUR'AN KIRAATLERİNDE BELAĞAT İNCELİKLERİ –KEHF SÛRESİ ÖRNEĞİ

Çalışma Kehf Suresi'ndeki belagat özelliklerini 10 kıraate göre tevatüren varit olan rivayetlere dayalı olarak incelemeyi hedeflemektedir. Bununla Kur'an-ı Kerim'deki, özellikle de Kehf Suresi'ndeki belagat güzelliklerinin sırlarını ortaya çıkarmak amaçlanmaktadır. Çalışma giriş, üç bölüm ve sonuçtan oluşmaktadır.

Birinci Bölüm'de Kur'an kıraatlerindeki başlıca dil özellikleri olan ses, sarf ve nahiv incelenecektir. İkinci Bölüm'de belagattaki tevcih ve bunun Kur'an ve kıraatlerle olan ilişkisi ele alınacaktır. Üçüncü Bölüm'de ise Kur'an kıraatlerinde Kehf Suresi'nde yer alan belagat sanatları üzerinde durulacaktır. Sonuç bölümü de çalışmanın ulaştığı çıkarımları ve en önemli sonuç ve faydalarını aktaracaktır.

ABSTRACT

ART OF TAWJEH OF RHETORIC IN QUR'ANIC RECITATIONS: SURAH KAHF SAMPLE

This study aims to examine rhetorical features of Surah Kahf based on credible narrations (tawatur) of 10 Qur'an recitations. Therefore it is intended to discover the secrets of rhetorical beauties in the Holy Qur'an and in Surah Kahf in particular. The study consists of an introduction, three chapters and a conclusion.

In the First Chapter, we examined the main linguistic characteristic such as sound, conjugation (sarf) and grammar (nahw) in the Qur'an recitations. In the Second Chapter, we focused on the art of tawjeh and its relation with Qur'an and Qur'an recitations. In the Third Chapter, we studied the art of rhetoric in Surah Kehf in ten Qur'an recitations. As for the conclusion, we explained the conclusions of the study, as well as its most important results and benefits.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على رسول المبعوث رحمة للعالمين ، سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى آله وصحبه أجمعين ..

يعود سبب اختياري لموضوع التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية، هو شغفي في معرفة أسرار ما يحتويه القرآن الكريم من جمال بلاغي، خاصة مع مختلف الروايات للقراء العشرة، بل حتى تعديت للقراءات الأربع الشواذ.

وما دفعني أكثر هو أن تخصصي بالقراءات السبع من طريق الشاطبية والقراءات الثلاث المتممة من طريق الدرة، بعد أن أُجزْت بها منذ سنوات، أصبح علي من الواجب أن أخوض في أعماق هذا العلم، واستخراج ما فيه من جواهر، لا سيما صلته العميقة، بل والمباشرة باللغة العربية وفنونها، ومنها فن البلاغة.

وما إن لاحت لي فرصة البحث حتى بادرت إلى إشباع رغبتي في معايشة النص القرآني والبحث في جوانب إعجازه البلاغي، فضلا عن الاستزادة من علوم العربية، و هو أمر يتيحه البحث في الدلالة أكثر من غيرها بالنظر إلى ما تتسم به من شمولية لعلوم اللغة ومستوياتها. وكانت من حكمة الله تعالى وتيسيره على الأمة، أنه أنزل كتابه على سبعة أحرف كلها شاف وكاف، وكانت القراءات القرآنية المتواترة، التي نقلها لنا الأئمة الثقات..

قال الإمام الشاطبي –رحمه الله– في منظومته الشهيرة بـ متن الشاطبية:

جَزَى اللهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أَئِمَّةً

لَنَا نَقَلُوا الْقُرْآنَ عَذْباً وَسَلْسَلَا

فَمِنْهُمْ بُدُورٌ سَبْعَةٌ قَدْ تَوَسَّطَتْ

سَمَاءَ الْعُلَى وَالْعَدْلِ زُهْراً وَكُمَّلَا

لَهَا شُهُبٌ عَنْهَا اسْتَنَارَتْ فَنَوَّرَتْ

سَـــوَادَ الـدُّجَى حَتَّى تَفَرَّق وَانْجَلَا

وَسَـــوْفَ تَرَاهُمْ وَاحِداً بَعْدَ وَاحِدٍ

مَعَ اثْنَيْنِ مِنْ أَصْـــحَـابِـهِ مُتَمَثِّلَا

تَخَـيَّـرَهُـمْ نُـقَّـادُهُـمْ كُـلَّ بَـارِعٍ

وَلَـيْـسَ عَـلَـى قُـرْآنِـهِ مُـتَـأَكِّـلَا[1]

ولقد وجه العلماء عنايتهم لتوجيه هذه القراءات وبيان الحجة لكل منها، وكان هذا البحث هو استقصاء واستنباطا من فيض ما كتبوه في علم البلاغة .

إلا أن دراسة القراءات بلاغيا لم تأخذ حظها الوافر من الاهتمام والعناية والإفراد بالدراسة والبحث ، ما شجعني أن أخوض هذا المغمار ، محاولا جمع ما تناولته كتب القراءات بلاغيا ، وربط بعضها ببعض ، من حيث انسجامه مع أهداف القرآن الكريم الإعجازية، إذ تحاول هذه الدراسة التوجيه البلاغي في القراءات القرآنية –سورة الكهف أنموذجا–، أن تجمع ما ورد في سورة الكهف من أوجه بلاغية ، وأن تسد ثغرة في هذا الجانب ، وأن تضيف شيئا في هذا المجال، ولو كانت يسيرة من طالب علم صغير.

أهمية الموضوع

وتأتي أهمية هذه الدراســـة لزيادة المعرفة البلاغية، ولاســـيما بلاغة القرآن الكريم من خلال القراءات القرآنية، في ســـورة الكهف على وجه التحديد، وتتطلع الدراســـة أن تكون مرجعا من المراجع الأدبية البلاغية القرآنية في المكتبة الإسلامية، ومن الله أستمد العون، فهو المستعان، وعليه التكلان.

هدف البحث

كان من بين الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع، هو أن القراءات القرآنية تلقاها جيل عن جيل بالسند المتصل، إلى أن وصلت إلينا، لكن دون الاستفادة من بلاغة ما ورد فيها من تنوع بين

1 الشاطبي، القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد ، **حرز الأماني ووجه التهاني في القراءات السبع**، تحقيق: محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية، سوريا، 1426هـ/2005 م، ص 2-3.

القراءات في ظواهر كثيرة، ليقف عندها المؤمن متفكرا متدبرا كلام الله عزوجل، لتكتمل الصورة الجمالية عند الغوص في المعاني، والكشف عما وراء دلالات الألفاظ الظاهرة ، من تقديم وتأخير وذكر وحذف وتعريف وتنكير وزيادة في التركيب ، وأمور أخرى.

منهج البحث

وكنت قد بدأت البحث بمقدمة عن نشأة القراءات، وكيفية نشوؤها، وأدلة مرجعيتها وسندها المتصل إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، ثم شروط قبول الرواية التي وضعها العلماء لصونها من كل ما هو شاذ أو دخيل.

وثم قسمت البحث على ثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول أبرز الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية المتواترة والشاذة، من خلال توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف في الظواهر، ثم شرعت أتناول الظواهر في اللهجات العربية مستشهدا بما ورد في كتب اللغة والنحو، وكانت الظواهر مقسمة على النحو الآتي:

1–الظواهر الصوتية: تناولت فيها ظاهرة الإدغام وتخفيف الهمزة، والفتح والإمالة، بالإضافة إلى ظاهرة الفتح والإسكان في ياءات الإضافة.

2–الظواهر الصرفية: وتناولت في هذا القسم ظاهرة الإبدال، والجمع بين ساكنين، وتصريف الأفعال والأسماء على غير قياس المشهور.

3–الظواهر النحوية: ودرست فيها البناء والإعراب، واللزوم والتعدية، والبناء للمجهول والبناء للمعلوم.

وأما الفصل الثاني، فقد تناولت فيه مفهوم التوجيه البلاغي، تعريفه لغة واصطلاحا، ومفهوم القراءات القرآنية عند العلماء، ثم عرفت القراءة والقرآن، وسردت الفروقات بين القرآن والقراءات، ثم بينت أقسام القراءات بالأدلة المعتبرة عند العلماء، وبينت الفرق بين القراءة والرواية والطريقة وكيفية وصولها إلينا بالسند المتصل إلى النبي –صلى الله عليه وسلم–، وشرحت معنى الأحرف السبعة في الحديث المشهور، ثم استدللت بأقوال العلماء في مسألة علاقة القراءات بالأحرف السبعة، وتفصيل أسماء القراء العشرة ورواتهم وطرقهم، لأنتهي بأهمية وفوائد تعدد القراءات القرآنية.

أما في الفصـــل الثالث، فقد تناولت مظاهر البلاغة في القراءات القرآنية من خلال ســـورة الكهف، فبدأت بالتقديم والتأخير، من حيث الأسلوب، وكيف له الأثر العميق في تغيير المعنى تبعا لتغير موقع الكلمة، وسردت أمثلة على ذلك من سورة الكهف.

ثم انتقلت إلى الذكر والحذف، وبينت أســـبابه ودواعيه، وبعده انتقلت إلى التعريف والتنكير، وكيف أكد العلماء أن له فوائد جمة في التعبير القرآني، ثم انتقلت إلى الإفراد والجمع، واشـــتماله للمعاني المتعددة في سورة الكهف، ثم ختمت الفصل بالتذكير والتأنيث. وأخيرا الخاتمة التي لخصت فيها أهم ما توصلت إليه من ملاحظات مرتبة حسب الفصول.

أهم مصادر ومراجع البحث

وقد جمعتُ القراءات التي قمتُ بدراستها من كتاب معجم القراءات القرآنية، لـ أحمد مختار عمر وعبد العال ســالم مكرم، وكتاب النشــر في القراءات العشــر، لابن الجزري، وكتاب خصــائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم المطعني، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبي طالب القيسي، ثم رجعتُ لكتب التفاسير، وساعدني كثيرا إشاراتٌ ولفتاتٌ لبعض المفسرين في توجيه القراءات، ثم كتب القراءات ومعانيها، أهمها: تفسير الكشاف للزمخشري، وروح المعاني للآلوسي، و دَرْج الدُّرر في تفسير الآي والسور، لعبد القاهر الجرجاني، وتفسير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد لابن عاشور.

واكتفيتُ بمجموعة من القراءات بالتوجيه والتحليل، وتركتُ بقيتها في باب الذكر والحذف لتكرارها، وحتى لا يطول البحث.

المحتويات

ملخص I

ÖZET II

ABSTRACT III

المقدمة IV

الفصل الأول

الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية

أولاً: الظواهر الصوتية: 14

1.ظاهرة الإدغام: 14

ظاهرة الإدغام في القراءات القرآنية: 15

2.ظاهرة تخفيف الهمزة: 19

3.ظاهرة الفتح والإمالة: 25

4.ظاهرة الفتح والإسكان في ياءات الإضافة: 27

ثانيا : الظواهر الصرفية: 28

1.ظاهرة الإبدال: 29

2.ظاهرة تصريف الأفعال والأسماء على غير القياس المشهور: 32

ثالثاً: الظواهر النحوية: 36

1.البناء والإعراب: 36

2.اللزوم والتعدية: 38

3.البناء للمجهول والبناء للمعلوم:.....37

الفصل الثاني

التوجيه البلاغي وعلاقته بالقراءة القرآنية

أولاً: مفهوم التوجيه البلاغي.....44

ثانياً: مفهوم القراءات القرآنية.....45

1–التعريف بالقراءة:.....45

2– الفرق بين القرآن والقراءات:.....47

3– أقسام القراءات القرآنية:.....48

4– الفرق بين القراءة والرواية والطريق:.....50

5– معنى الأحرف السبعة:.....50

6– علاقة القراءات بالأحرف السبعة:.....51

7– القراء العشرة ورواتهم:.....52

8– أهمية وفوائد تعدد القراءات القرآنية:.....54

ثالثا: البلاغة والقرآن الكريم.....57

رابعا: البلاغة والقراءات القرآنية.....61

خامسا: التوجيه البلاغي والقراءات القرآنية:.....63

الفصل الثالث

مظاهر البلاغة في القراءات القرآنية في سورة الكهف

أولا: التقديم والتأخير:.....68

ثانيا: الذكر والحذف:.....77

ثالثا: التعريف والتنكير:.....89

رابعا: الالتفات:.....108

خامسا: الإفراد والجمع:.....115

سادسا: التذكير والتأنيث:.....126

الخاتمة 129

قائمة المصادر والمراجع 136

بسم الله الرحمن الرحيم

المدخل

نشأة علم القراءات والتأليف فيه

أنزل الله القرآن الكريم باللغة العربية على النبي محمد –صلى الله عليه وسلم– ليكون للناس هاديا ونذيرا، قال الله تعالى : ﴿إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون﴾[١] . ووعد بصونه من النسيان والتحريف فقال عزوجل : ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [٢]. وقد عمل النبي –صلى الله عليه وسلم– وأصحابه –رضي الله عنهم– منذ البداية على الاعتناء بالكتاب الكريم تحقيقاً لوعده –جل وعلا–، وتجلى عملهم هذا في مظهرين:

الأول: حفظيّ ويتمثل في حفظ النبي –صلى الله عليه وسلم– وإقرائه الصحابة وعرضه الدوري على جبريل –عليه السلام–، وفي جهود الصحابة الذين أتمّ حشدٌ منهم جمعه، ونشره في صفوف السواد الأعظم من الناس [٣] .

وقد أكد هذه الحقيقة ابن الجزري رحمه الله بقوله : "ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور لا على حفظ المصاحف والكتب وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى" [٤].

---

١ سورة يوسف، الآية، ٢.

٢ سورة الحجر، الآية، ٩.

٣ الصغير، محمود أحمد، **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي**، دار الفكر، دمشق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص.. ١٥.

٤ ابن الجزري، محمد، **النشر في القراءات العشر**، تخريج الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، ج١،ص ١٢.

الثاني: كتابي ويتمثل في جهود الصحابة الأوائل الذين سجّلوا الوحي للنبي على قطع متفردة من العسب[١] واللحاف [٢] والرقاع [٣] وغيرها، ومنهم الخلفاء الأربعة وزيد بن ثابت وأبي بن كعب –رضي الله عنهم– أجمعين[٤].

وقد تمت عملية الكتابة في عهده –صلى الله عليه وسلم– وبإشرافه واعتنائه الزائد[٥] ، ثم بعد هذا كان جمع القرآن الكريم في مصحف زمن سيدنا أبي بكر الصديق –رضي الله عنه– ، والذي دفعه إلى ذلك إشارة من بعض الصحابة عليه ، بعدما استشهد كثير من حملة القرآن الكريم في حروب الردة ، ولم يقدم أبو بكر على هذا العمل إلا بعد أن استأنس برأي الصحابة ، فأمر زيد بن ثابت بتتبع القرآن وجمعه، فجمعه في صحف كانت عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة –رضي الله عنهم– أجمعين. [٦]

وفي خلافة سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– ، كان حذيفة بن اليمان ممن شهدوا فتح أرمينية وأذربيجان، فرأى الحفظة يختلفون في قراءة القرآن ، كل يدّعي أن قراءته أصحّ من الآخر، وذلك ما أخرجه البخاري عن ابن شهاب أن أنس بن مالك قال : إن حذيفة بن اليمان قدم إلى عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردّها إليك. فأرسلت بها إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش

---

١ العسب : جمع عسيب وهو جريدة النخل.

٢ اللحاف: حجارة بيض رقاق، واحدتها لحفة.

٣ الرقاع: جمع رقعة وتكون من ورق او جلد ، انظر القاموس المحيط، الفيروز ابادي، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.

٤ الذهبي، شمس الدين، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار** ، تحقيق، محمد سيد جاد الحق، دار الكتب العلمية الحديثة، مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج١، ص.٣٥.

٥ عتر، نور الدين ، **القران الكريم والدراسات الأدبية**، مطبعة ابن خلدون–دمشق، ١٤٤٠هـ/١٩٨٩،ص ١١.

٦ المطوع، يوسف، مجلة البيان، مقال بعنوان **"الهمزة"** ، عدد ٢٤٠، ١٩٨٦، ص ٦٦.

فإنما نزل بلسانهم، ففعلوا، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان إلى حفصة، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في صحيفة أو مصحف أن يُحرق [١] .

هذا العمل الكبير الذي فعله سيدنا عثمان بن عفان –رضي الله عنه– أوقف مشكلة كبيرة كادت أن تبدأ من ذلك الزمان وتستمر إلى يومنا هذا ، فعمل على جمع ما بأيدي الصحابة من نسخ القرآن في مصحف واحد، واستطاع نشره في أرجاء المعمورة.

وكان عدد المصاحف التي نسخت بأمر سيدنا عثمان ثمانية على المشهور، وهي كالآتي:

- مصحف إلى البصرة.
- مصحف إلى الكوفة.
- مصحف إلى الشام.
- مصحف إلى مكة.
- مصحف إلى البحرين.
- مصحف تركه لأهل المدينة.
- ومصحف أمسكه لنفسه وهو المصحف الذي يقال له الإمام[٢] .

وبكتابة القرآن الكريم في المصاحف على عهد عثمان بن عفان –رضي الله عنه– تجرّد المصحف من كلّ ما ليس قرآناً ، وكانت هذه المصاحف كلها مجردة من النقط والشكل، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على الخط وحده.

وكان في كل مصر حفظة يُرجع إليهم؛ لأن القرآن نُقل بالتواتر في قراءته بالسند الصحيح، أما الخلافات في قراءات القرآن الكريم فمنشؤها هو خروج جموع الصحابة إلى الأمصار في الفتوحات فأدّى إلى استقرارهم في قبائلهم حيث استقر بهم المقام، فكان القرآن يُقرأ على الحرف الذي لقّنهم إياه النبي –صلى الله عليه وسلم–، وكانوا يقرأون القرآن في هذه الأمصار على الحروف التي تلقوها عن النبي –صلى الله عليه وسلم–

---

١ النووي، **صحيح البخاري** ، مطبعة إحياء التراث العربي، بيروت، ج٥، ص ١٥١.

٢ المطوع، مقال بعنوان **"الهمزة"** ، ص ٦٧.

، فلما وجه إليهم عثمان بن عفان –رضي الله عنه– المصاحف ، فقرأ أهل كل مصر مصحفهم الذي وجهه إليهم على ما يُوافق قراءتهم[١] .

ويأتي اجتهاد سيدنا عثمان –رضي الله عنه– في توحيد مصاحف الأمصار لعدم حصول الخلاف في القراءة التي تلقاها الصحابة الكرام عن النبي –صلى الله عليه وسلم– إلى حد يسيء إلى القرآن نفسه في الأجيال التي ستأتي بعدهم.

أما تنوع القراءات فيعود أصله إلى زمن النبي –صلى الله عليه وسلم–، حيث أنزل عليه القرآن على وجوه مختلفة، ولعلّ الحادثة التي أسّست إلى هذا الإقرار هي أن سيدنا عمر بن الخطاب —رضي الله عنه– قال: سمعت هشام بن حيكم يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يُقْرئنيها رسول الله فكدتُ أساوره في الصلاة، فانتظرت حتى سلّم ثم لبته بردائه —أو بردائي– قلتُ: من أقرأك هذه السورة؟ قال: أقرأنيها رسول الله، قلتُ: كذبت، فوالله إن رسول الله أقرأني هذه السورة التي سمعتك تقرأها، فانطلقت أقوده إلى رسول الله فقلتُ: يا رسول الله إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تُقْرئنيها، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "أرسله يا عمر، اقرأ يا هشام"، فقرأ هذه القراءة التي سمعته يقرأها، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "هكذا أُنزلت"، ثم قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : "إن هذا القرآن أُنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسّر منه"[٢] .

وقد ذهب كثير من العلماء في تفسير هذا الحديث إلى تفاسير عدة، ولعل أرجح هذه الأقوال في معنى الحروف السبعة التي نزل عليها القرآن، هو ما ذهب إليه أبو الفضل الرازي، أن الحروف السبعة عبارة عن أوجه في القراءة لا تخرج عن سبعة مهما كثر التعدّد والتنوّع في أداء اللفظ الواحد ومهما تعدّدت القراءات وطرقها ولو في الكلمة الواحدة[٣]، وقد تبعه في ذلك عدد من العلماء قديما وحديثاً.

الوجه الأول:

---

١ العتر، **القرآن الكريم والدراسات الأدبية**، ص.١٢٣.

٢ النووي، **صحيح البخاري**، ج٦ ، ص ١٥٢.

٣ الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القران**، تخريج أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، ص ٩١-٩٢.

اختلاف الأســـماء: كاختلافها في الـإفراد والتثنية والجمع، أو في التذكير والتأنيث، ومثاله قوله جل جلاله ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[١]، قرئ هكذا "لأماناتهم" جمعاً وهي قراءة الجمهور، وقُرئ "لأمانتهم" بالإفراد وهي قراءة ابن كثير المكي.

الوجه الثاني:

اختلاف تصريف الأفعال من ماضٍ ومضارع وأمر، مثل قوله جل جلاله ﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[٢] بصيغة الدعاء وهي قراءة الجمهور، وقُرئ الفعل بصيغة الإخبار "بَعِّد" بالتشديد من غير ألف وهي قراءة ابن كثير وأبو عمرو وهشام[٣].

الوجه الثالث:

اختلاف وجوه الإعراب، ومثاله قوله –جل جلاله– ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾[٤]. قُرِئت كلمة يضار بفتح الراء وضمّها. فالفتح على أن "لا" ناهية، فالفعل مجزوم بعدها والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام المثلين، وهي قراءة الجمهور.

أما الضم فعلى أن "لا" نافية، فالفعل بعدها مرفوع، وهي قراءة ابن محيصن[٥].

الوجه الرابع:

---

١ سورة المؤمنون، الآية، ٨.

٢ سورة سبأ، الآية، ١٩.

٣ القاضي، عبد الفتاح، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، ص ٢٦٥.

٤ سورة البقرة، الآية، ٢٨٢ .

٥ الدمياطي، أحمد بن محمد، **اتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تحقيق، الشيخ أنس مهرة، دار الكتب العلمية ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، بيروت، ص ٢١٣.

الاختلاف بالنقص والزيادة، ومثال قوله –جل جلاله– ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾[١] ، قُرئ هكذا بهذا اللفظ ، وقُرئ أيضاً بكسر (الذكرِ والأنثى)، عطفا على (النهارِ) و(الليل) مع حذف كلمة ما خلق [٢] .

الوجه الخامس:

وهو الاختلاف بالتقديم والتأخير، مثل قوله –جل جلاله– ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾[٣]، وهي قراءة الجمهور. وقُرئ أيضا: وجاءت سكرة الحق بالموت ، وهي قراءة أبي[٤] .

الوجه السادس :

وهو الاختلاف بالإبدال، مثل قوله –جل جلاله– ﴿وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكۡسُوهَا لَحۡمٗا﴾[٥]، قرئت ننشزها، بالزاي، وهي قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف. ومعناها الارتفاع أي يرتفع بعضها على بعض للتركيب. وقرئ بالراء نُنْشِرُهَا ، أي أحياهم. وهي قراءة الباقون[٦].

الوجه السابع:

هو اختلاف اللهجات مثل قوله –جل وجلاله– ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾ [٧]. قرأ بالفتح والإمالة في أتى ولفظ موسى، ولا فرق في هذا الوجه أيضا بين الاسم والفعل، والحرف مثلهما.

وكذلك قراءة الهذلي حتى عين في قوله –عزوجل– ﴿وَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ﴾[٨]، لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها، والأسدي يقرأ تعملون، والتميمي يهمز والقرشيّ لا يهمز، ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه طفلا ناشئا وكهلا، لاشتد عليه ذلك، وعظُمت المحنة فيه، ولم يمكن إلا

---

١ سورة الليل، الآية، ١،٢،٣.

٢ الصغير، **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي**، ص ٣٧٧.

٣ سورة ق، الآية، ١٩.

٤ الصغير، **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي**، ص.٩٥.

٥ سورة البقرة، الآية، ٢٥٩.

٦ الدمياطي، **اتحاف فضلاء البشر**، ص. ٢٠٨.

٧ سورة طه، الآية، ٩ .

٨ سورة الصافات، الآية، ١٧٨ .

بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعاً في اللغات[١] . إذن فالوجوه التي جاء بها القرآن الكريم هي نتيجة لاختلاف اللهجة بين القبائل العربية، وهي من رحمة الله على عباده المؤمنين.

فالوجوه التي جاء بها القرآن الكريم هي التي سُميت فيما بعد بالقراءات التي تُعرف بأنها: "النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي –صلى الله عليه وسلم– أو كما نُطقت أمامه فأقرّها[٢] . فالقراءات كما أجمع معظم الدارسين أنها لا تختلف عن القرآن ولا تشكل دونه حقيقة متغايرة بل هما حقيقة واحدة وذلك لأن القراءات القرآنية بصحّة سندها وتواترها هي أشكال القرآن وهيئاته لا أبعاض منه أو أجزاءه.

فكما القرآن متواتر وكذلك القراءات، حتى عدّ العلماء شرط التواتر ركناً أساسياً وكافيا في الوقت نفسه لقبول القراءة، وهو عندهم الأصل الذي قام عليه نقل الوجوه الصحيحة، ولم يتخلّ عنه العلماء على الرغم من مطابقة الرسم ووجها من وجوه العربية[٣] .

والقراءة بعد هذا حصر بالوجوه التي أُثرت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ونقلها عنه القراء الضابطون إذ لا زيادة لمستزيد، وخير ما جاء في وصفها أنها سنّة يأخذها الآخر عن الأول[٤] .

لقد نقل الصحابة الذين تلقوا القرآن عن النبي –صلى الله عليه وسلم– وجوه القراءات عنه أيضاً، فحفظوها وضبطوها وعرضوها عليه ثم أقرأوها جمهور المسلمين وأسلموها إلى التابعين، الذين لم يكونوا أقلّ منهم حماسة أو دأباً حتى إذا حلّ القرن الثاني الهجري وجدنا رجالا أكّفاء يرثون هذه الوجوه وينصرفون إلى ضبطها وحفظ أسانيدها، ويضعون الشروط الواجب توافرها في حامل القراءة، فإذا هم أعلام بها، وإذا هي بهم علم مستقل[٥].

---

١ ابن قتيبة، **تأويل مشكل القرآن** ، المكتبة العلمية ،بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٣٧.

٢ الدمياطي، **اتحاف فضلاء البشر** ، ص.٥.

٣ الصغير، **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي** ، ص ١٧.

٤ بن قنبر، أبي بشر بن عمرو، **الكتاب سيبويه** ، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج١، ص ١٤٨، وينظر: **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ١٠١.

٥ الصغير، **القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي**، ص ٢٧.

قال أبو عبيدة[١] :"ثم قام من بعدهم —يريد الصحابة والتابعين- بالقرآن قوم ليست لهم أسنان من ذكرنا ولا قدمهم، غير أنهم تجّردوا في القراءة فاشتدّت بها عنايتهم، حتى صاروا بذلك أئمة يأخذها الناس عنهم ويقتدون بهم فيها، وهم خمسة عشر رجلا من هذه الأمصار، في كل مصر منهم ثلاثة رجال: فكان بالمدينة أبو جعفر [ت١٢٤هـ ،٧٤١م] ثم شيبة بن نصاح [ت١٣٠ هـ ،٧٤٧م] ثم نافع [ت ١٢٠ هـ ،٧٣٧م] وإليه صارت قراءة أهل المدينة. وكان من قرّاء مكة عبد الله بن كثير [ت١٢٠ هـ ،٧٣٧م] وحُميد بن قيس الأعرج [ت ١٣٠ هـ ،٧٣٧م] ، ومحمد بن محيصن [ت ١٢٣ هـ ،٧٤٠م] وأقدمهم ابن كثير وإليه صارت قراءة أهل مكة. وكان بالكوفة يحيى بن وثّاب [ت١٠٣هـ ، ٧٢١م] وعاصم بن أبي النجود [ت١٢٧ هـ،٧٤٤م] والأعمش [ت١٤٨ هـ ،٧٤٤م] ثم تلاهم حمزة [ت ١٥٦ هـ ، ٧٧٢م] وأبو عمرو بن العلاء [ت١٥٤ هـ ،٧٧٠م] وعيسى بن عمر [ت١٤٩ هـ ،٧٦٦م]. ومن قرّاء الشام عبد الله بن عامر اليحصبي [ت١٢٨ هـ ،٧٤٥م] ويحيى بن الحارث الذّماري [ت١٤٥ هـ ، ٧٦٢م] .

هذه هي الطريقة التي نشأت بها القراءات القرآنية حتى صارت علما قائما برأسه، له رجاله المتخصصون هم علماء القراءات، ولهذا العلم أسانيد تصل بالقراءة إلى صاحبها الذي قرأ بها، ومن ثم إلى النبي –صلى الله عليه وسلم-. والمشافهة شرط لا بدّ منه؛ لأن في القراءات أشياء لا تحكم إلاّ بالسماع والمشافهة[٢] .

كما اشترطوا في قبول القراءة القرآنية موافقة اللغة العربية ولو بوجه، وموافقة الرسم العثماني ولو احتمالا، وصحّة سندها إلى رسول الله –صلى الله عليه وسلم-، وتشدّدوا في شروطهم هذه حتى صار الرأي السائد عندهم أن كلّ قراءة هذا شأنها كانت حتما من الأحرف السبعة التي نزل القرآن الكريم بها. وكان أهم عنصر من هذه العناصر (الأركان) هو عنصر التواتر، ومتى تحقّق تواتر قراءة من القراءات وصحّ سندها، فإن ذلك يعني موافقتها للغة العربية ولأحد المصاحف. ولم يختلف القرّاء في هذا الشأن؛ لأن الأصل عندهم أن القراءة سنّة متّبعة، ولذلك فإن الركنين الأوليين لا يضّران القراءة متى توفّر شرط التواتر وصحّة السند[٣] .

---

١ القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ٢٨.

٢ القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي، ص ٢٨.

٣ هذا بالنسبة للقراء اما النحويون وخاصة البصريون منهم فقد قالوا بضرورة توفر الأركان الثلاثة لقبول القراءة والاحتجاج بها. انظر في أصول النحو لـ سعيد الأفغاني، دار الفكر/دمشق ١٩٦٣ن ص ٣٠.

والخلاصة:

إن أوجه القراءات عبارة عن أوجه مختلفة في الأداء، وأن هذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا تضـــاد وتناقض، لأن التضـــاد والتناقض يتنزه عنهما القرآن الكريم، الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٌ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[١]، ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾[٢].

كما أن الاختلاف سنة متّبعة، تقوم على سند متصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن تلاوة الرسول التي تلقاها عنه الصحابة رضي الله عنهم إلى أن وصلت إلينا؛ كانت بحروف شتى، ونشأت القراءات المتواترة من هذه الحروف في عهد التابعين رضي الله عنهم، المنضبطة بشروط التواتر التي أقرها العلماء رحمهم الله، والمنقولة إلينا بالتواتر من خلال السند المتصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بخلاف القراءات الأربع الشواذ التي يؤخذ بها من حيث العلم بها لا القراءة بها في الصلاة كما نص الفقهاء على ذلك؛ لانقطاع سندها، أو لاختلال أحد الضوابط المعروفة لدى علماء القراءات، أو لعدم شيوعها وانتشارها، فتبقى أهميتها من حيث الاحتجاج بها في اللغة والنحو، واستنباط الأحكام الفقهية.

---

١ سورة فصلت، الآية، ٤٢.

٢ سورة النساء، الآية، ٨٢.

الفصل الأول

الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية

وسأتناول في موضوع دراستي في هذا الفصل، أبرز الظواهر اللغوية في القراءات القرآنية المتواترة والشاذة، من خلال توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف في الظواهر، ثم أتناول الظواهر في اللهجات العربية مستشهدا بما ورد في كتب اللغة والنحو، وكانت الظواهر مقسمة على النحو الآتي:

١-الظواهر الصوتية: وتناولت فيها ظاهرة الإدغام وتخفيف الهمزة، والفتح والإمالة، بالإضافة إلى ظاهرة الفتح والإسكان في ياءات الإضافة.

٢-الظواهر الصرفية: وتناولت في هذا الفصل ظاهرة الإبدال، والجمع بين ساكنين، وتصريف الأفعال والأسماء على قياس المشهور.

٣-الظواهر النحوية: ودرست فيها البناء والإعراب، واللزوم والتعدية، والبناء للمجهول والبناء للمعلوم.

أولاً: الظواهر الصوتية وهي :

١. ظاهرة الإدغام:

الإدغام ظاهرة من الظواهر اللغوية التي اهتم بها القرّاء وجعلوا لها الكثير من الضوابط وحكموها بالقواعد واختلفوا في تعليلها وتفسيرها.

الإدغام لغة: هو إدخال الشيء في الشيء، يُقال أدغمت اللّجام في فم الفرس إذا أدخلتهُ فيه[١] .

اصطلاحا: يُقال أدغمتُ الحرف في الحرف، أدخلتُه فيه، فجعلتُ لفظه كلفظة الثاني فصار مثلين[٢] ، أو هو النطق بالحرفين حرفاً كالثاني مشدداً[٣] . وشرط الإدغام التماثل أوّلاً وهو أنّ يتفقا مخرجاً وصفة كالباء في الباء والتاء في التاء والثاء في الثاء وسائر المتماثلين[٤] نحو (حيث ثقفتموهم) من قوله تعالى: ﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٥].

وقد يتجانس الصوتان فيُدغمان، بأن يتفقا مخرجاً ويختلفا صفة كالذال في الثاء والثاء في الظاء والتاء في الدال، وذلك نحو (قد تبين) من قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[٦] .

---

١ الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص ٦٧٠. وينظر: المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ج٥، ص ٤٧٢. وينظر: الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص ١٠٥. وينظر: ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١٢، ص ٢٠٣.

٢ القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب ، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص ١٤٣. وينظر: ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف، **التمهيد في علم التجويد**، تحقيق: على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ج١، ص ٦٩.

٣ ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ، **النشر في القراءات العشر**، تحقيق: علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى، تصوير دار الكتاب العلمية، ج١، ص ٢٧٤.

٤ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص٢٧٨.

٥ سورة البقرة، الآية، ١٩١.

٦ سورة البقرة، الآية، ٢٥٦.

وقد يتقارب الصوتان فيُدغمان، بأن يتقاربا مخرجاً أو صفة أو مخرجاً وصفة[١] ، نحو (قل رب) من قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا﴾[٢] .

الإدغام في القراءات القرآنية:

المقصود بالإدغام في القراءات القرآنية هو اختلافهم في إدغام دال "قد" وإظهارها عند ثمانية أحرف وهي: الجيم والزاي والذال والضاد والظاء والسين والشين[٣] .

ومن الأمثلة على ذلك:

١. الذال: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا﴾[٤] ، قرأ أبو عمرو بن العلاء بالإدغام هكذا (وَلَقَدْ ذّرَأْنَا)[٥] ، وقد أظهر الإمام نافع وابن كثير وعاصم وابن ذكوان وهي الأصل.

٢. الظاء: مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ﴾[٦] .

٣. الضاد: مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ ضَلَلْتُ﴾[٧] .

٤. الجيم: مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ﴾[٨] .

٥. الشين: مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ شَغَفَهَا﴾[٩] .

٦. السين: مثل قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ﴾[١٠] .

---

١ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٢٧٨.

٢ سورة الإسراء، الآية، ٨٠.

٣ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ١٤٤. وينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج٢، ص ٤.

٤ سورة الأعراف، الآية، ١٧٩.

٥ سورة الأعراف، الآية، ١٧٩.

٦ سورة ص، الآية، ٢٤.

٧ سورة الأنعام، الآية، ٥٦.

٨ سورة التوبة، الآية، ١٢٨.

٩ سورة يوسف، الآية، ٣٠.

١٠ سورة المجادلة، الآية، ١.

٧. الصاد: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا﴾[١] .

٨. الزاي: مثل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا﴾[٢] .

قرأ هذه المواضع كلها بلا استثناء بالإدغام أبو عمرو وكذلك حمزة والكسائي وخلف وهشام والباقون على الإظهار[٣].

وقد اختلفوا أيضاً في إدغام الذال في كلمة "إذ" عند ستة أحرف وهي: السين والتاء والصاد والدال والجيم والزاي[٤] .

١. السين: في قوله تعالى: ﴿إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾[٥] .

٢. الجيم: في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ﴾[٦] .

٣. الدال: في قوله تعالى: ﴿إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾[٧] .

٤. الصاد: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا﴾[٨] .

٥. الزاي: في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ زَاغَتِ﴾[٩] .

٦. التاء: في قوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ﴾[١٠] .

قرأ بالإدغام أبو عمرو وهشام، وأظهرها عندها نافع وابن كثير وعاصم وأبو جعفر ويعقوب[١١] .

---

١ سورة الإسراء، الآية، ٤١.

٢ سورة الملك، الآية، ٥.

٣ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ١٤٥. وينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج٢، ص ٤.

٤ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج٢، ص ٣.

٥ سورة النور، الآية، ١٢.

٦ سورة المائدة، الآية، ٢٠.

٧ سورة الكهف، الآية، ٣٩.

٨ سورة الأحقاف، الآية، ٢٩.

٩ سورة الأحزاب، الآية، ١٠.

١٠ سورة البقرة، الآية، ١٦٦.

١١ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ١٤٧. وينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج٢، ص ٣.

واختلفوا كذلك في إدغامهم تاء التأنيث عند ستة أحرف أيضاً وهي: الثاء، والجيم، والزاي، والسين، والصاد، والظاء[١] .

١. الثاء: في قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ﴾[٢] .
٢. الجيم: في قوله تعالى: ﴿نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ﴾[٣] .
٣. الزاي: في قوله تعالى: ﴿خَبَتْ زِدْنَاهُمْ﴾[٤] .
٤. السين: في قوله تعالى: ﴿أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ﴾[٥] .
٥. الصاد: في قوله تعالى: ﴿لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ﴾[٦] .
٦. الظاء: في قوله تعالى: ﴿كَانَتْ ظَالِمَةً﴾[٧] .

قرأها بالإدغام جميعها أبو عمرو وحمزة والكسائي، وأدغمهما الأزرق عن ورش في الظاء فقط[٨] .

وقد اختلفوا أيضاً في إدغام لام "هل" و"بل" عند ثمانية أحرف وهي: التاء، الثاء، والزاي، والسين، والضاد، والطاء، والظاء، والنون[٩] .

١. التاء: في قوله تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ﴾[١٠] .
٢. الثاء: في قوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ﴾[١١] .

---

١ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج٢، ص ٥.

٢ سورة القمر، الآية، ٢٣.

٣ سورة النساء، الآية، ٥٣.

٤ سورة الإسراء، الآية، ٩٧.

٥ سورة البقرة، الآية، ٢٦١.

٦ سورة الحج، الآية، ٤٠.

٧ سورة الأنبياء، الآية، ١١.

٨ إبراهيم، محمد ، **المحجة في تجويد القرآن –مقرأ نافع– رواية ورش**، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج١، ص ٢٥٤.

٩ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر** ، ج٢، ص ٦.

١٠ سورة الأنبياء، الآية، ٤٠.

١١ سورة الأعلى، الآية، ١٦.

٣. الزاي: في قوله تعالى: ﴿بَلْ زَعَمْتُمْ﴾[١] .

٤. السين: في قوله تعالى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ﴾[٢] .

٥. الضاد: في قوله تعالى: ﴿بَلْ ضَلُّوا﴾[٣] .

٦. الطاء: في قوله تعالى: ﴿بَلْ طَبَعَ﴾[٤] .

٧. الظاء: في قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ﴾[٥] .

٨. النون: في قوله تعالى: ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾[٦] ، وقوله تعالى: ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ﴾[٧] .

أدغم اللام منهما في الأحرف الثمانية الكسائي و وافقه حمزة في التاء والثاء والسين، وكان الجمهور على الإظهار لأصليته[٨] .

ومن خلال الأمثلة التي سقناها عن ظاهرة الإدغام في القراءات القرآنية تبيّن لنا جلياً أن الإدغام ظاهرة صوتية تحدث بسبب تأثر الأصوات المتجاورة بعضها ببعض وذلك أنه لا يُدغم حرف في حرف إلا على أساس علاقة صوتية بينهما وإما على أساس التماثل وهو الأصل ولا خلاف فيه بين القرّاء، أو على أساس التجانس أو التقابل بين الحروف وهو الذي يرجع إليه أساس الخلاف بين القرّاء في قضية الإدغام أو عدمه إذا أردنا أن نعلل تعليلاً صوتياً فبالتالي نحتجّ لكل مذهب.

وهذا كله مرده إلى التخفيف وكراهية الاستثقال، يقول القيسي: "إنّ اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه ثم عاد مرّة أخرى إلى المخرج بعينه، ليلفظ بحرف آخر مثله صعب ذلك، وشبههُ النحويّون بمشي المقيد؛

---

١ سورة الكهف، الآية، ٤٨.

٢ سورة يوسف، الآية ١٨.

٣ سورة الأحقاف، الآية، ٢٨.

٤ سورة النساء، الآية، ١٥٥.

٥ سورة الفتح، الآية، ١٢.

٦ سورة الشعراء، الآية، ٢٠٣.

٧ سورة الكهف، الآية، ١٠٣.

٨ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٧.

لأنه يرفع رجلا ثم يُعيدها إلى موضعها أو قريب منه، وشبهه بعضهم بإعادة الحديث مرّتين، وذلك ثقيل على السامع[١] .

٢. ظاهرة تخفيف الهمزة:

يُعد الهمز من أكثر الأصوات التي مسّتها القراءات، وقد أُلّفت لها أمهات كتب اللغة في إجمال وعرضت لها كتب القراءات بتفصيل كبير، وذلك لأن الهمز من أصعب الحروف في النطق وهذا لبعد مخرجها؛ إذ تخرج من أقصى الحلق[٢]، كما اجتمع فيها صفتان من صفات القوة وهما الجهر والشدة، والهمز صوت صامت، حنجري، انفجاري، وهو يحدث بأن تسدّ الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتيين، وذلك بانطباق الوترين انطباقاً تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة، يضغط الهواء فيما بين الحنجرة ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثاً صوتاً انفجارياً[٣] ، لذلك عمدت بعض القبائل العربية إلى تخفيف النطق بالهمزة حتى صار خاصة لهجية عندهم.

وقد نسب عدد من العلماء ظاهرة تخفيف الهمز إلى منطقة الحجاز، وهذيل وأهل مكة والمدينة المنورة[٤]، ومن هنا كان التخفيف طارئاً واستثناء، أما التحقيق والهمز فهو الأصل.

وقد تعرضت كتب القراءات إلى أحكام الهمز، وكل الدقائق المتعلقة بها، من إبدال أو حذف أو تسهيل أو تخفيف أو تحقيق وسواء كانت في بداية الكلمة أو وسطها أو في آخرها.

والمقصود بتحقيق الهمز، أن تعطى الهمزة حقها من الإشباع والبيان؛ وقد قرأ النبي –صلى الله عليه وسلم– على التحقيق[٥] ، ويدخل فيه تحقيق الهمزة المفردة، وتحقيق الهمزتين من كلمة ومن كلمتين، أما

---

١ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ١٣٤.

٢ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٧٢.

٣ بشر، كمال، **علم اللغة العام الأصوات** ، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٩٠م، ج١، ص ١١٢.

٤ محيسن، محمد محمد سالم ، **القراءات وأثرها في علوم العربية**، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص ٩٤.

٥ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٣٧٠. وينظر: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ج١، ص ٣٤٠.

التخفيف فالمقصود به إما حذفها أو إبدالها أو جعلها بين بين –أي تسهيلها–، وفي هذا يقول سيبويه: "وأما التخفيف فتصير الهمزة فيه بين بين وتبدل وتحذف"[١].

ومن ظاهرة تخفيف الهمزة:

أ– الإبدال:

وهو أن تبدل الهمزة حرف مدّ من جنس حركة ما قبلها فتبدل واوا إذا وقعت بعد ضمّ نحو: (يُومِنُونَ)، و(الْمُوتَفِكَةَ)، وألفا بعد الفتح: (فَاذَنُوا)، و(فَاتُوهُنَّ) ، وياء بعد كسرة: (بِيس)، (جِيتَ) ، و(الْهُدَى ايتِنَا)، كما جاءت في قراءة أبي جعفر المدني[٢].

باستثناء كلمتي (أنبئهم) من قوله تعالى ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ﴾[٣] ، وكلمة (نبئهم) من قوله تعالى ﴿وَنَبِّئۡهُمۡ عَن ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [٤] .

وقد علل سيبويه هذه الظاهرة بقوله: "فإنما تبدل مكان كل همزة ساكنة الحرف الذي فيه الحركة التي قبلها لأنه ليس شيء أقرب منه ولا أولى به منها، وإنما يمنعك أن تجعل هذه السواكن بين بين أنها حروف ميتة وقد بلغت غاية ليست بعدها تضعيف، ولا يوصل إلى ذلك، ولا تحذف لأنه لم يجئ أمر تحذف له السواكن فألزموه البدل، كما ألزموا المفتوح الذي قبله كسرة أو ضمّة البدل"[٥].

ففي هذه الأحوال الثلاثة يجوز عند القرّاء إبدال الهمزة حرف مدّ من جنس الحرف الذي قبلها، فإذا كان فتحاً تبدل ألفاً، وإذا كان كسراً تبدل ياء، وإذا كان ضمّاً تبدل واواً.

---

١ سيبويه، **الكتاب** ، ج٣، ص ٥٤١.

٢ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٣٠٣.

٣ سورة البقرة، الآية، ٣٣.

٤ سورة الحجر، الآية، ٥١.

٥ سيبويه، **الكتاب**،ج٣، ص ٥٤٤.

ومن ظاهرة تخفيف الهمزة:

ب– الحذف:

وهو وجه من وجوه تخفيف الهمزة وهو أبلغ أنواع التخفيف، لأن الهمزة فيه تُحذف حذفاً نهائياً ولا تبقى إلا الحركة، لذلك لم يلجأ إليه العرب إلا قليلاً، ويُشترط في الهمزة التي تحذف أن تكون متحركة وقبلها ساكن، فعند حذفها تلقى حركتها على الساكن الذي قبلها، وقد ذكر سيبويه أمثلة لذلك منها: (من بوك) و(من مُك) و(كم بلك)، حيث جاءت مخففة الهمزة في: (من أبوك)، و(من أمّك)، و(كم أبلك)، [١] وقال الذين يحققون: ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ﴾[٢] .

ومن أمثلة ذلك أيضاً: مستهزءون، الصابئون، مُتكئون، مالئون .

وهذا من باب ما جاء مضموناً بعد كسر وبعدها واو، فقرأ أبو جعفر المدني وحده بحذف الهمزة وضمّ ما قبلها وهي على النحو التالي: (مستهزون)، (الصابون)، (متّكون)، (مالون)، ووافقه نافع على (الصابون) وقرأ الباقون بالهمز[٣] .

ومنه ما جاء مضموماً بعد فتح نحو (متكئين)، (الصابئين)، (الخاطئين)، قرأ أبو جعفر بحذف الهمزة، وقرأ الباقون بالهمز.

ومنه أيضاً ما جاء مكسوراً بعد كسر نحو (يطأون)، (تطأوها)، قرأ أبو جعفر بحذف الهمزة وقرأ الباقون بالهمز[٤] .

هذا إذا كانت الهمزة مفردة أمّا إذا كانت في كلمتين فهي على النحو التالي:

– إذا كانت الهمزتان المجتمعتان متفقتين كسراً نحو (مِنَ النِّسَاءِ إِلاَّ)، و(وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ)، أو فتحاً نحو (السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ)، و(جَاءَ أَحَدَكُمُ)، أو ضمّاً نحو (أَولِيَاءُ أُولَئِكَ)، فإنّ أبا عمرو يقرأ بإسقاط الهمزة

---

١ سيبويه، **الكتاب** ، ج٣، ص ٥٤٥.

٢ سورة النمل، الآية، ٢٥.

٣ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٣٠٨.

٤ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٣٠٩.

الأولى منهما، أما أبو جعفر فيُحقق الأولى ويسهل الثانية في الأقسام الثلاثة، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بتحقيق الهمزتين جميعاً في الأقسام الثلاثة[١].

– أما إذا كانت الهمزتان المجتمعتان مختلفتين على النحو التالي:

مفتوحة ومضمومة: نحو (جاء أمة) من قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَاۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةَ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُۖ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٢].

مفتوحة ومكسورة: نحو (شهداء إذ) من قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِىۖ قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾[٣].

مضمومة ومفتوحة: نحو (نشاء أصبناهم) من قوله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾[٤]، ونحو (يا سماء أقلعي) من وقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّۖ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[٥].

مكسورة ومفتوحة: نحو (هؤلاء أهدى) من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾[٦]، نحو وعاء أخيه من قوله تعالى: ﴿فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٧].

مضمومة ومكسورة: نحو (الشهداء إذا) من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا

---

١ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٢٩٧.

٢ سورة المؤمنون، الآية، ٤٤.

٣ سورة البقرة، الآية، ١٣٣.

٤ سورة الأعراف، الآية، ١٠٠.

٥ سورة هود، الآية، ٤٤.

٦ سورة النساء، الآية، ٥١.

٧ سورة يوسف، الآية، ٧٦.

أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[١] ، ونحو الملأُ إني من قوله تعالى: ﴿قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٞ﴾[٢] .

فقد قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتخفيف الهمزة الأولى وتسهيل الهمزة الثانية فيها جميعاً، وقرأ ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي وخلف بتحقيق الهمزتين[٣].

ت– تسهيل الهمزة التي بين وبين:

هي إحدى طرائق ثلاث في تخفيف الهمزة، وهو صوت بين الهمزة وبين الصوت المتولد من مدّ حركتها، فإذا كانت متحركة بالفتحة فبين الهمزة والألف، وإذا كانت محركة بالضمة فبين الهمزة والواو، وإذا كانت محرّكة بالكسرة فبين الهمزة والياء[٤] .

ونجدها في الهمزة المفردة إذا كانت الهمزة قبلها ساكن متّصل ألف، وقد يكون حرف المدّ واللين ألفاً، فلا يخلو الحال أن تكون حركتها فتحة وكسرة أو ضمة وهي في هذه الأحوال الثلاثة تجعل همزة بين بين.

فإذا كانت مفتوحة جعلتها بين الهمزة والألف نحو (تساءل)، وإن كانت مضمومة جعلتها بين الهمزة والواو مثل (تساؤل)، وإن كانت مكسورة جعلتها بين الهمزة والياء مثل (قائل)، وقد قام بتسهيلها بهذا الشكل أبو جعفر وحقّقها الباقون[٥] .

أما إذا كانت الهمزتان مجتمعتين في كلمة فقد اختلفوا فيها على النحو التالي:

---

١ سورة البقرة، الآية، ٢٨٢.

٢ سورة النمل، الآية، ٢٩.

٣ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٣٠٠-٣٠١.

٤ سيبويه، **الكتاب** ، ج٣، ص ٥٤٢.

٥ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٣٠٩.

١. (أَأَنْذَرْتَهُمْ) اختلفوا في تخفيف الثانية منهما وتحقيقها، وإدخال ألف بينهما فسهلها بين الهمزة والألف ابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر[١] .

٢. (أَآلِهَتُنَا) اختلفوا في تحقيق الهمزة الثانية وفي تسهيلها بين بين، فقرأ بتحقيقها الكوفيون وسهلها الباقون ولم يدخل أحد بينهما ألفاً[٢] .

٣. (أَأَعْجَمِيٌّ) قرأ نافع وابن كثير وعاصم –في رواية– وأبو عمرو (آعجمي) بتحقيق الثانية، وقرأ عاصم –في رواية– وحمزة والكسائي (أأعجمي) بهمزتين[٣] .

٤. (أَئِنَّكُمْ) و(أَئِنَّ لَنَا لَأَجْراً) و(أَإِلَهٌ مَعَ اللهِ) قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتسهيل الثانية بين بين وحققها الكوفيون وابن عامر، وفصل بين الهمزتين في جميع هذا الباب أبو عمرو وأبو جعفر[٤] .

٥. (أؤنبئكم) من قوله تعالى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[٥] ، ونحو (أءُنزل) من قوله تعالى: ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۖ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾[٦] ، قرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر بتسهيل الثانية، وحققها الباقون، وفصل بينهما بألف أبو جعفر واختلف عن أبي عمرو[٧].

هذه أهم الأحكام المتعلقة بظاهرة تخفيف الهمز في القراءات القرآنية، ولستُ هنا بصدد دراسة الظاهرة كلها عند القراء بحيثياتها وتفاصيلها وجميع قواعدها، وإنما أردت فقط أن أبرز الظاهرة بصفتها ظاهرة لغوية، وحاولت وصفها وصفاً محدداً، وكونها كانت مجالاً من مجالات القراءات القرآنية والتي تبلورت على أيدي القرّاء فوصفوها بدقة متناهية، وقسموا هيئاتها إلى أقسام متعددة ومختلفة.

---

١ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٢٨٣.

٢ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٢٨٤.

٣ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٢٨٥.

٤ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٢٨٨.

٥ سورة آل عمران، الآية، ١٥.

٦ سورة ص، الآية، ٨.

٧ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ٢٩١.

٣. ظاهرة الفتح والإمالة:

والمقصود بالفتح: هو فتح المتكلم لفيه بلفظ الحرف، ويقال له أيضاً التفخيم وهو شديد ومتوسط، فالشديد هو نهاية فتح الشخص فاه بذلك الحرف ولا يجوز في القرآن، بل هو معدوم في لغة العرب، والمتوسط هو ما بين الفتح الشديد والإمالة المتوسطة[١] ، وهو المستعمل عند القراء.

أما الإمالة لغة: فهي تعني التعويج، يُقالُ أملتُ الرُمحَ إذا عوجته عن استقامته[٢] .

أما في الاصطلاح: فهو أن ينحو بالفتحة نحو الكسرة وبالألف نحو الياء كثيراً وهو المحض، ويُقال له أيضاً الإضجاع والبطح والكسر، ويُقال له أيضاً التقليل والتلطيف وبين بين[٣] .

والفتح والإمالة من الظواهر اللغوية المتفشية في القبائل العربية، ولما كانت القراءات القرآنية حاملة للهجات القبائل العربية كانت ظاهرة الفتح والإمالة من الظواهر البارزة فيها وخاصة أنها من لحون العرب وأصواتها، قال أبو عمرو الداني: "الفتح والإمالة لغتان مشهورتان، فاشيتان على ألسنة الفصحاء من العرب الذين نزل القرآن بلغتهم، فالفتح لغة أهل الحجاز، والإمالة لغة عامة أهل نجد وتميم وأسد وقيس"[٤] ، وقال أيضاً: "إنّ الإمالة من الأحرف السبعة"[٥] .

والإمالة قسمان: إمالة كبرى، وإمالة صغرى:

١. **الإمالة الكبرى** وتسمى الإمالة المحضة أو الشديدة، وهي أن تقرب الفتحة من الكسرة تقريباً شديدا، والألف من الياء من غير قلب خالص أو إشباع مبالغ فيه[٦] .

---

١ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٣٠.

٢ ابن منظور، **لسان العرب**، ج١١، ص ٦٣٦.

٣ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٣٠، السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص ٢٢٩.

٤ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٣٠.

٥ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٣٠.

٦ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص ٢٢٩.

٢. **أما الإمالة الصغرى** فهي تسمى عند القدماء الإمالة المتوسطة أو بين بين، وهي ما بين الفتح والإمالة الكبرى، وهذا لا يتأتى إدراكه إلا بالمشافهة والتلقي.

ويرجع الهدف الأساس من الإمالة إلى التخفيف وتسهيل النطق، وذلك لأن اللسان يرتفع بالفتح وينحدر بالإمالة، والانحدار أخف على اللسان من الارتفاع، لهذا أمال من أمال، وأما من فتح فإنه راعى كون الفتح أمتن، أو هو الأصل[١] .

وبالإمالة قرأ كل القراء العشرة إلا ابن كثير فإنه لم يُمل شيئاً في جميع القرآن.

وفيما يلي نورد أمثلة من ما يُمال كما جاءت به كتب القراءات:

فحمزة والكسائي وخلف قرأوا بإمالة كل ألف منقلبة عن ياء في كل القرآن الكريم في اسم أو فعل، مثل: (الهدى، الفتى، الزنا، أتى، أبى، سعى)، وغيرها [٢] .

وكذلك أمالوا كل ألف تأنيث جاءت من فعلى بضم الفاء أو كسرها أو فتحها، مثل: (طوبى، بشرى، القربى، الدنيا، ضيزى، التقوى)، وألحقوا بذلك، (موسى، عيسى)، وكل ما كان على وزن فعالى بالضم أو الفتح، (سكارى، كسالى، أسارى، يتامى)، وكل ما رسم في المصاحف بالياء نحو (بلى، متى، يا حسرتى) وأُستُثنيَ من ذلك (حتى، إلى، على، لدى، زكى).

وأمال أبو عمرو كل ما فيه راء بعدها ألف بأي وزن كان: (ذكرى، وبشرى، أسرى، أراه، يرى، النصارى، سكارى)[٣] .

وأمال أبو عمرو أيضاً والكسائي كل ألف بعدها راء متطرفة مجرورة سواء كانت أصلية أم زائدة عنه، نحو (الدار، النار، القهار، الغفار، النهار، أوبارها، حمارك) [٤].

---

١ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج١، ص ٢٣١.

٢ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٣١.

٣ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٣٣.

٤ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٤٢.

كما أمال حمزة الألف من عين الفعل الماضي من عشرة أفعال وهي: (زاد، شاء، جاء، خاب، خاف، زاغ، طاب، ضاق، حاف) حيث وقعت[١].

وأمال الكسائي هاء التأنيث وما قبلها وقفا مطلقاً بعد خمسة عشر حرفاً يجمعها قولنا فجثت زينب لذود شمس ، نحو: (خليفة، رأفة، وليجة، خبيثة، توبة، الموقودة،....)الخ[٢] .

وأمال (ألر) في السور الخمس[٣]، حمزة والكسائي وخلف وأبو عمرو، وابن عامر، وبين بين ورش، وأمال الهاء من فاتحة مريم و طه أبو عمرو والكسائي وأبو بكر، وأمال الياء من أول مريم من أمال (ألر) إلا أبو عمرو[٤] .

هذه بعض الأحكام في هذا الباب دون تفصيل كبير لورودها مفصلة بدقة في كتب القراءات.

٤. ظاهرة الفتح والإسكان في ياءات الإضافة:

ياءات الإضافة هي عبارة عن ياء المتكلم، وهي ضمير يتصل بالاسم والفعل والحرف فتكون مع الاسم مجرورة المحل ومع الفعل منصوبته، ومع الحرف منصوبته ومجرورته[٥] .

والقراء في قراءاتهم لهذه الياءات على ثلاثة أضرب:

الأول: ما أجمع القراء على إسكانه والأكثر لمجيئه على الأصل نحو (إني جاعل) من قوله تعالى:﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[٦] ، ونحو (لي عملي) من قوله تعالى:

---

١ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص 45.

٢ السيوطي، **الاتقان في علوم القران**، ج١، ص ١٤١.

٣ سورة يونس، وهود ، ويوسف، وإبراهيم، والحجر.

٤ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ٤٥.

٥ المصدر السابق، ج٢، ص ١٢١.

٦ سورة البقرة، الآية، ٣٠.

﴿وَإِن كَـذَّبُوكَ فَقُـل لِّى عَمَلِى وَلَـكُمْ عَمَلُـكُمْۖ أَنتُم بَرِيـٓـُٔونَ مِمَّـآ أَعْمَـلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾[١] ، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ﴾[٢] ،

الثاني: ما أجمع القراء على فتحه وذلك لموجب إما أن يكون بعدها ساكن لام التعريف أو شبهه وهو في القرآن إحدى عشرة كلمة في ثمانية عشر موضعاً منها (نعمتي التي) من قوله تعالى: ﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْـرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾[٣] ، و(بي الأعداء) من قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَـىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْـبَـٰنَ أَسِـفًا قَالَ بِئْسَـمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْـتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[٤] ، و (مسني السوء) من قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِـى نَفْعًا وَلَا ضَـرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[٥] .

الثالث: ما اختلفوا في إسكانه وفتحه وفي القرآن مائتا ياء واثنتا عشرة ياء[٦] ، مع العلم بأن ورشا عن نافع كان يفتح كل ياء إضافة إلا في ثلاثة وعشرين موضعاً.

يقول مكي بن أبي طالب القيسي: "واختلف القراء فيها في جميع القرآن، وعدّة ما اختلف القراء فيه من ياءات الإضافة، مائة وخمس وسبعون ياء فتحها ورش عن نافع إلا ثلاثاً وعشرين فإنه أسكنها"[٧] .

ثانيا : الظواهر الصرفية:

القراءات القرآنية حافلة بالظواهر الصرفية، وذلك لما تتميز به اللغة العربية من تغيرات سببها ظاهرة التخلص من الثقل الذي يعتري بعض الكلمات، حيث نجد في كلام العرب من يُخرج الكلمة التي وقع فيها ثِقل صوتي من بنائها الأصلي إلى بناء جديد، طلباً للتخفيف وتسهيل النطق، فكانت الكلمة عرضة

---

١ سورة يونس، الآية، ٤١.

٢ سورة الشعراء، الآية، ٤٨.

٣ سورة البقرة، الآية، ٤٠.

٤ سورة الأعراف، الآية، ١٥٠.

٥ سورة الأعراف، الآية، ١٨٨.

٦ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ١٢١.

٧ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٣٢٥.

للتغيّرات الصرفية كالإبدال، فجاءت على نسق ذلك القراءات القرآنية، وكانت نموذجاً تطبيقياً لهذه الظواهر كظاهرة الإبدال والتسكين، وتصريف الأفعال على غير القياس وغيرها، ونبدأ بالظاهرة الأولى:

١. ظاهرة الإبدال الصرفي:

الإبدال لغة: من البدل، وبدل الشيء الخلف منه، وتبدل الشيء، وأبدله، واستبدله بمعنى اتخذ منه بدلاً وأقامه مكانه[١] .

اصطلاحاً: هو أن تحذف حرفاً من الكلمة وتجعل آخر مكانه لدفع الثقل الصوتي الذي سببه وجود الحرف المحذوف بين أصوات الكلمة أو الجملة[٢] .

والإبدال ظاهرة تعبر عن الارتباط والانسجام الصوتيين ووجهاً من وجوه تفاعل الأصوات، وتأثير بعضها في بعض، وذلك لأنه لا يبدل حرف من حرف إلا على أساس علاقة صوتية بينهما، إما من حيث المخرج، وإما من حيث الصفة، بمعنى أن الإبدال لا يتم إلا على أساس وجود علاقة صوتية بين الحرفين: المبدل والمبدل منه وبين الحرف المبدل والحرف المجاور في الكلمة ليتم التجانس الصوتي بينهما.

ومن أمثلة الإبدال في القراءات القرآنية ما يلي:

إبدالهم الصاد من السين في كلمة الصراط: وهي تُقرأ بالصاد والسين، وإشمام[٣] الزاي؛ قرأ قنبل رواية رويس عن ابن مجاهد السراط، وسراط حيث أتى بالسين وهو الأصل، والباقون بالصاد، وأشم خلف عن حمزة الصاد زاياً في جميع القرآن[٤] ، وذلك لما كانت الصاد تُجانس الطاء وتؤاخيها في الاستعلاء والإطباق، فكان الاختبار واقعاً على الصاد دون مثيلاتها، وهي تؤاخي السين أيضاً وتُجانسها في صفتي الصفير والهمس[٥] .

---

١ ابن منظور، **لسان العرب** ، ج١١، ص ٤٨.

٢ عبد الرحمن السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج١، ص ٢٩٧.

٣ المراد بالإشمام هنا هو خلط صوت بصوت الزاي فيمتزجان، فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي، ينظر: ابن الجزري، **التمهيد في علم التجويد** ، ج١، ص ٥٩.

٤ ابن الجزري، **تقريب النشر في القراءات العشر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ج١، ص ٣٧.

٥ ابن خالويه، الحسين بن أحمد ، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١، ص ٦٣.

إبدالهم الهمزة حرف مدّ ولين: فالهمزة تبدل ألفاً لدى نافع إذا كانت ثانية همزتين مزدوجتين مفتوحتين، نحو (أأنت) ، (أألد) ، (شاء أنشره) ، (وجاء أمرنا).

وكذلك إذا كانت ساكنة واقعة فاء لكلمة مسبوقة بفتح، نحو: (نأكل)، (يأملون)، ووجه هذا الإبدال المبالغة في تخفيف الهمز فراراً منه مطلقاً[١] .

وتبدل الهمزة واواً مدية إذا كانت ساكنة وواقعة فاء للكلمة، وكان قبلها مضموماً، نحو: (يؤمنون)، (مؤمن)، (المؤتفكة).

ظاهرة الجمع بين الساكنين على حده وعلى غير حده:

الأصل في لغة العرب ألا يجمع ساكنان متواليان سواء كان ذلك في كلمة أو كلمتين إلا ما استُثني من ذلك لأسباب صرفية وقد ظلت محل خلاف بين اللغويين وكان كل فريق منهم يضع لذلك حداً لم يضعه الثاني، ونقصد هنا بمصطلح "على حده وعلى غير حده"، القواعد التي وضعها علماء اللغة لتحديد المواضع التي يجوز فيها الجمع بين الساكنين ويكون عليها القياس، وهو الحد الأدنى الذي اتفقوا عليه، يقول أبو حيان الأندلسي: إن الكوفيين أجازوا الجمع بين الساكنين على غير الحد الذي أجازه البصريون.[٢]

وكان الحد الأدنى الذي حصل فيه الاتفاق بينهم هو جواز ذلك في المواضع التالية:[٣]

١. إذا كان الساكن الأول حرف مدّ أو لين أو ياء تصغير والثاني مشدداً، نحو: دابّة وخويصة، تصغير خاصة.

٢. إذا كان في الكلمات المسرودة، نحو: قاف، ميم، نون، لجريانها مجرى الموقوف عليه.

٣. الكلمات الموقوف عليها، نحو: بكر، ثوب، وقال.

وجاءت بعض القراءات خارجة على الحد الذي وضعه البصريون في الجمع بين الساكنين مثل قراءة نافع وتمثّل ذلك فيما يلي:

---

١ المارغيني، **النجوم الطوالع** ، ج١، ص ٥٣-٥٤.

٢ أبو حيان أثير الدين الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج١، ص ٧٩.

٣ النجار، محمد عبد العزيز ، **ضياء السالك إلى أوضح المسالك**، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٤، ص ٤٢٩-٤٣٠.

– قوله تعالى: ﴿أَأَنذَرْتَهُمْ﴾، قرأ نافع بإبدال الهمزة الثانية ألفاً، فاجتمع بذلك ساكنان.

– وقوله تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[١] ، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾[٢] ، قرأ نافع من رواية قالون بإسكان العين وتشديد الميم في نعْمّا.[٣]

– وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٤] ، قرأ نافع من رواية ورش الآية بإسكان الياء في كلمة محياي.[٥]

– وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[٦] ، قرأها نافع من رواية قالون بإسكان الهاء وتشديد الدال في كلمة يهْدّي.[٧]

وقوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٨] ، قرأها نافع من رواية قالون بإسكان الخاء وتشديد الصاد في كلمة يخْصّمون[٩].

لهذا السبب اعترض البصريون على قراءة نافع في هذه المسألة وهي الجمع بين الساكنين، فكان منهم من أنكرها جملة[١٠] ، وكان منهم من حاول أن يجد لها مخرجاً ولو كان بعيداً[١١] ، ولكن الكوفيين وجماعة

---

١ سورة البقرة، الآية، ٢٧١.

٢ سورة النساء، الآية، ٥٨.

٣ مكرم ، عبد العال سالم ، أحمد مختار، **معجم القراءات القرآنية**، جامعة الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م، ج٢، ص ١٤١

٤ سورة الأنعام، الآية، ١٦٢.

٥ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج٢، ص ٣٤٠.

٦ سورة يونس، الآية، ٣٥.

٧ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج٣، ص ٧٣ –٧٤.

٨ سور يس، الآية، ٤٩.

٩ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج٥، ص ٢١٠.

١٠ ذهب إلى ذلك ابن يعيش، ينظر: أبو البقاء، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، **شرح المفصل للزمخشري**، قدم له: أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م ، ج١٠، ص ١٤٧.

١١ سيبويه، **الكتاب** ج٤، ص ٤٣٧–٤٣٨.

من النحاة أجازوا ذلك، حيث نجد الفراء يجيز هذه الظاهرة ويعلل لها، عند قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ﴾[١]، وبعض من قرّاء أهل المدينة –ويقصد نافع– يسكّن الخاء والطاء فيجمع بين الساكنين فيقول "يْخْطِّفُ" ... وأما من جمع بين الساكنين فإنه كمن بنى على التباين –وهو الإظهار وعدم الإدغام إلا أنه إدغام مخفي، وفي قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ لَا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدَى﴾[٢] ، وفي قوله تعالى: ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾[٣]، مثل ذلك التفسير[٤] .

ويقول أبو حيان: "وليس العلم محصوراً ولا مقصوراً على ما نقله البصريون، فلا ينظر إلى قولهم، إنّ هذا لا يجوز"[٥] ، في معرض رده على إنكار البصريين لقراءات القرآن وخاصة المتواترة منها، فالأمر إذن لم يعد خلافاً بين النحاة والقرّاء وإنما هو بين النحاة أنفسهم.

٢. ظاهرة تصريف الأفعال والأسماء على غير القياس المشهور:

لقد جاءت بعض القراءات القرآنية مصرفة لبعض الأفعال والأسماء العربية على غير الذي اشتهرت عليه عند الجمهور، ولكنها موافقة في الوقت نفسه لسان بعض القبائل العربية الفصيحة وإن كانت قليلة.

أ– الأفعال:

١. **الفعل (حَسِبَ)**: وذلك أن القياس في العربية يوجب أن ما جاء من الأفعال على وزن فَعِلَ مكسور العين يكون مضارعه بفتحها لأنه أخف وأدل على التصريف وأكثر مادة، والفتح لغة مشهورة وعليها الجمهور[٦]، واعتبر الكسر عند بعضهم شذوذاً[٧].

---

١ سورة البقرة، الآية، ٢٠.

٢ سورة يونس، الآية، ٣٥.

٣ سورة يس، الآية، ٤٩.

٤ الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ج١، ص ١٨.

٥ شاهين، عبد الصبور ، **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م، ج١، ص ٣٩٩.

٦ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٣١٨.

٧ ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري ، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ج٢، ص ٥٥٦-٥٥٧.

والإمام نافع قرأ مضارع حَسِبَ بكسر السين في جميع القرآن الكريم، أي أنه قرأ على غير ما هو عليه القياس، ولكنه مستعمل وقد أثبته علماء النحو والقراءة، ومن هؤلاء ابن خالويه حيث يقول: " –يَحسَبُهم– يُقرأ بكسر السين وفتحها، والحجة لمن فتح أنه أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه، لأن فَعِلَ بالكسر يأتي مضارعه على يَفعَلُ بالفتح قياساً مطرداً، والحجة لمن كسر؛ أن العرب استعملت الكسر والفتح في مضارع أربعة أفعال: (يحسب، ينعم، يبس) حتى صار الكسر فيها أفصح[١] ، وقد كانت قراءة رسول الله ﷺ بالكسرِ: يَحْسِبُ، يَحْسِبُونَ،[٢] وهي لغة أهل الحجاز.

٢. **الفعل (عتل)**: لم يقع هذا الفعل سوى في موضع واحد فقط، وهو في قوله تعالى: ﴿خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إلى سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[٣] ، حيث قرأ الحرميان وابن عامر بضم التاء، وقرأ الباقون بالكسر، وهما لغتان: (عَتَلَ، يَعْتُلُ، ويَعْتِلُ) مثل: عَكَفَ، ويَعْكُفُ، ويَعْكِفُ[٤] .

وشبه به الفعل (نَشَزَ) في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا﴾[٥] ، حيث قرأ نافع وعاصم وابن عامر بضم الشين، وقرأ الباقون بكسرها، وهما لغتان يُقال: (نَشَزَ، ويَنْشُزُ، ويَنْشِز)[٦] ، فالملاحظ إذن أنّ قراءة نافع وابن عامر على غير القياس المشهور، أي على غير قراءة الجمهور.

٣. **الفعل (عسى)**: القياس في اللغة يوجب أنه إذا كان مسنداً إلى ضمير رفع متصل، يُقرأ بفتح السين لأنه ما أجمع عليه قبل الإسناد، فيُقال: عَسَى بالفتح لا عَسِي بالكسر، ولكن الإمام نافع قرأه بكسرِ السين وفي جميع القرآن، وفتحها الباقون وهو الأصل وعليه أكثر القراء[٧] .

---

١ ابن خالويه، **الحجة** ، ج١، ص١٠٣.

٢ الدينوري، **أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة** ، **أدب الكاتب أو أدب الكتّاب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان، ج١، ص ٣٧٢.

٣ سورة الدخان، الآية، ٤٧.

٤ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج٢، ص ٢٦٤.

٥ سورة المجادلة، الآية، ١١.

٦ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج٢، ص ٣١٥.

٧ ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد ، **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص ١١٥.

وعلى الرغم من مخالفة قراءة الكسرِ قراءة الجمهور والقياس إلا أنها لغة ثابتة وهي لغة أهل الحجاز، يقول الإمام العكبري: عَسِيتُم: قرأها الجمهور على فتح السين؛ لأن (عسى) مثل (رمى) ويُقرأ بكسرها وهي لغة[١].

ومن هذه الأمثلة يتضح لنا أن القراءات التي جاءت مصرّفة لأفعال على غير القياس هي قراءات شاهدة على جواز ما جاءت به لغة ما، ومدللة على صحته وإن خالف القياس ظاهرها.

ب- الأسماء:

كما وجدنا في الأفعال فإننا وجدناه في الأسماء، كون مجيء بعض القراءات القرآنية بما فيها المشهورة منها مصرّفة لبعض الأسماء العربية على غير الأصل الذي اشتهرت عليه عند الجمهور، في حين أننا وجدناها موافقة للسان بعض القبائل العربية المعتد بلغتها وفصاحتها، وذلك من أجل علة فيها، ودليل ذلك ما يلي:

١. **سكون عين ما جاء على صيغة فُعُلٍ استخفافاً:** فالأصل في اللغة أنه ما كان على زنة فُعُلٍ يكون محرك العيّن بالضم أو الفتح أو الكسر، وذلك نحو: (فَخِذْ، كَتِفْ، عَضُدْ، وجَمَلْ)،... إلا أن قبائل تميم وأسد وقيس استثقلوا الضم والكسر فسكنوا العين غير أنهم أبقوا المفتوح؛ لأن الفتح أخف عليهم من الضم والكسر[٢]، وأما باقي القبائل العربية فهي على عدم التخفيف.

والحجة لمن سكن هي دفعا للثقل لتوالي الضمتين، كما في نحو (رُسُلُ)، وثقل توالي الكسرة أو الضمة للفتحة كما في (فَخِذ)، (كَتِف)، و(عَضُدا)، وثقل توالي كسرتين كما هو في نحو (إِبِل)[٣] .

وكذلك جاءت القراءات القرآنية موافقة لهذا التخريج في مثل كلمة (أُذُنُ) حيث قرأها نافع في جميع القرآن بإسكان الذال مخالفاً بذلك الجمهور وموافقاً في الوقت ذاته لغة بعض القبائل الأخرى[٤] ، حملا

---

١ العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله ، **إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص ١١٠.

٢ سيبويه، **الكتاب** ، ج٤، ص١١٣. وينظر: ابن جني، **الخصائص**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١، ص ١٢٠.

٣ سيبويه، **الكتاب** ج٤، ص ١١٤-١١٥.

٤ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٥٠٣.

على التخفيف لاجتماع ضمتين لازمتين كـ (طُنُب، وطُنْب، عُنُق، عُنْق) وقرأ الباقون على الأصل[١] ، ومن ذلك أيضاً كلمة شُغُل في قوله تعالى: ﴿فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ﴾[٢] ، قرأها الكوفيون وابن عامر بضم العين، وأسكنها الباقون، وهما لغتان كالسُحُت، والسُحْت[٣].

٢. **ما جاء على وزن (مَفْعُلَة) والأصل فيه (مَفْعَلَة)**: القياس في اللغة يوجب أن المصدر من زنة (يَفْعُل) مضموم العين يقع على زنة (مَفْعَل) مفتوح العين حيث لا يقع ذلك بضمها، كما أكد سيبويه أنه ليس في الكلام (مفعُل)[٤].

إلا أنّ قراءة من القراءات المتواترة والمشهورة جاءت مؤكدة لجواز الضم في صيغة (مفعُل) حيث قرأ نافع كلمة ميسُرة بضم السين في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾[٥] ، وقد رد الأخفش هذه القراءة وقال ليس بجائز لأنه في الكلام مفعُل[٦] ، بالمقابل فهناك من أثبت لغويتها ووجهها في العربية؛ منهم سيبويه الذي يعضد مذهبه الأخفش في كثير من القضايا، يقول: أما المَسْرُبَة فهو الشعر الممدود في الصدر، وكذلك المأثُرة، والمكرُمة، والمأدُبة، وقد قال قوم معذُرة كالمأدُبة ومثله: ﴿فَنَظِرَةٌ إلى مَيْسَرَةٍ﴾[٧] ، وكل هذه الأبنية يقع أسماً لا مصدراً ولا لموضع العمل[٨] ، أما صاحب الإتحاف فقد نسب هذه اللغة إلى أهل الحجاز[٩] .

---

١ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٥٠٣.

٢ سورة يس، الآية، ٥٥.

٣ ابن قتيبة، **أدب الكتاب** ، ج١، ص ٤٣١.

٤ سيبويه، **الكتاب** ، ج٤، ص٩٠.

٥ سورة البقرة، الآية، ٢٨٠.

٦ الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، **معاني القرآن** ، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج١، ص ٢٠٤.

٧ سورة البقرة، الآية، ٢٨٠.

٨ سيبويه، **الكتاب** ، ج٤، ص ٩٠-٩٢.

٩ البناء، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير ، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج١، ص ٢١٣.

من خلال هذه الأقوال يتبين أنّ قراءة نافع جاءت على لغة من لغات العرب، وأثبتت أنّ القرآن نزل بجميع لغات القبائل العربية وبالتالي فالوجهان يتمثلان في لغتين، وإن كان الفتح أفصح وأشهر.

٣. **ما جاء على زنة (فُعُلة)**: والمشهور (فُعْلة) الجاري في لغة العرب أنّ الأصل والقياس في هذا الوزن أن يكون مضموم العين، غير أنهم خففوا ذلك بتسكينها فأصبح التخفيف أكثر استعمالاً من الأصل حتى صار هو الأصل لإجماعهم على القراءة به، إلا أنّ قراءة نافع من رواية ورش جاءت بالضم[١] ، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ﴾[٢] ، مخالفاً للجمهور، وإن كان هذا الوجه بالضم هو الأصل، ولكنه مهجور بسبب الثقل الذي سببه توالي ثلاث حركات، وعلق القرطبي بقوله: قرأ نافع من رواية ورش قُرُبة بضم الراء وهي الأصل، والباقون بالتخفيف[٣] ، فقراءة ورش لهذه الآية وبهذه الكيفية يدفعنا للقول بأن قراءة نافع حفظت لنا أصل هذه الصيغة، على لغة من لغات العرب وإن كانت مهجورة، والحق أن كلتيهما صحيحة.

ثالثاً: الظواهر النحوية:

في الحقيقة لا يمكن حصر الظواهر النحوية في القراءات القرآنية صحيحها وشاذّها، وذلك لأنها مجال فسيح، وحقل خصب للدراسات القرآنية والنحوية على سواء، وآثارها اللغوية شاهدة على ذلك، فقد جاءت القراءات القرآنية شاهدة على غنى هذه اللغة الشريفة ودليل إثباتها والحافظ لحياتها.

لقد اختلفت القراءات القرآنية من حيث البناء اللفظي إعراباً وبناء ولزوماً وتعدية، فتأتي قراءة بلفظ البناء وهو معرب في قراءة العامة أو بالعكس، أو يُقرأ الفعل متعدياً وهو في الأصل لازم أو يُعدى بحرف تعدية وهو في الأصل متعدٍّ بغيره وهلم جرا.

١. البناء والإعراب:

المعرب هو اسم أو كلمة ، تتغير حركة آخره، أما الإعراب فهو تغير حركة الاسم أو الكلمة حسب موقعه من الجملة، فيسمّى هذا إعرابا، وقد يلزم آخرها حالة واحدة، فلا يتغير، وإن تغيرت المرتبة أو العوامل

---

١ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٥٠٥.

٢ سورة التوبة، الآية، ٩٩.

٣ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م، ج٨، ص ٢٣٥.

فيُسمّى هذا بناء، إذن فالتغيير بالعامل يُسمى إعراباً وعدم التغير يُسمى بناء[١] ، ويكون ذلك في الاسم والفعل على السواء، ولكننا وجدنا النحاة قد اختلفوا أمام حالات، وظنوا أنها تتعارض مع قواعدهم التي وضعوها، وهي كلمات عربية فصيحة، فذهبوا في ذلك مذاهب في كونها معربة أو مبنية، فجاءت القراءات القرآنية حلاً لما أشكل عليهم وحجّة على كلام العرب وفصاحته، ومن ذلك ما يلي:

– **بناء الظرف قبل الفعل المضارع**: أجمع النحاة على أن الظرف المبهم فيه البناء إذا ما أُضيف إلى جملة فعلية مصدرة بفعل ماضٍ فإنّ هذا الظرف يكتسب البناء من مجاورته للفعل الماضي المبني، ولكنهم اختلفوا في جواز ذلك إذا ما أُضيف إلى جملة مصدرة بفعل مضارع، فقد ذهب البصريون إلى عدم جواز ذلك بل يجب الإعراب، أمّا الكوفيون فقد قالوا يجوز الإعراب والبناء[٢] ، وهذا ما ذهب إليه أيضاً ابن مالك[٣] ، أمّا ابن هشام النحوي فقال بالإعراب دون البناء[٤] .

واحتجّ البصريون لمذهبهم بقولهم: إنّ الظرف إذا ما أُضيف إلى فعل مضارع معرب ليس لديه مجاور مبني؛ يكتسب منه البناء، أمّا الكوفيون فهو عندهم من لغات العرب، وأوردوا قول النابغة الذبياني:

على حين عاقبت المشيب على الصّبا فقلت ألمّا تصح والشّيب وازع[٥]

حيث روي هذا البيت بفتح حينَ وبكسرها حينِ مما دل على جواز البناء.

أمّا المسألة في القراءات القرآنية فهي واردة في قوله تعالى: ﴿هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾[٦] ، حيث قرئ يومَ بالنصب وهي قراءة نافع، وقرُئ بالرفع وهي قراءة الجمهور[٧] ، وهو دليل على ما ذهب إليه الكوفيون،

---

١ الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم ، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ج١، ص ١٨.

٢ الفراء، **معاني القرآن** ، ج١، ص ٣٢٦-٣٢٧.

٣ **شرح ابن عقيل**، ج٢، ص ٥٦-٥٧.

٤ ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص ٤٩٤.

٥ ابن المثنى، أبو عبيدة معمر ، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م، ج٢، ص ٩٣.

٦ سورة المائدة، الآية، ١١٩.

٧ سبط الخياط البغدادي، أبو محمد عبد الله بن علي الحنبلي ، **الاختيار في القراءات العشر**، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر السبر، مطبعة الجامعة الإسلامية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص ٣٧٢. وينظر: ابن الجزري، **اتحاف فضلاء البشر**، ج١، ص ٢٠٤.

وهذا ما ودفع بالبصريين إلى تخريج الآية بقولهم إنّ الظرف يومَ ليس مبنياً على الفتح، وإنما هو منصوب بفعل مقدر والتقدير أحد الأمرين:

أ- أن يجعل هذا مبتدأ وخبره محذوف، وعلى هذا يكون يوم ظرف زمان متعلق بـــ قال، وكأنه قيل: قال الله في يوم ينفع الصادقين صدقهم.

ب- أن يجعل يوم ظرف زمان متعلق بمحذوف خبر عن هذا، والتقدير: هذا واقع يوم ينفع الصادقين صدقهم[١].

ومن الأمثلة في هذا الباب نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[٢] ، فقد قرأها الجمهور برفع خوفَ وتنوينه، وقرأها الحسن البصري: ولا خوفَ ببناء خوفَ على الفتح[٣].

٢. اللزوم والتعدية:

ينقسم الفعل في العربية باعتبار معناه إلى متعدٍ ولازم.

والمتعدي هو ما يتعدى أثره فاعلَه، ويتجاوزه إلى المفعول به، مثل: فتح طارق الأندلس، واللازم هو عكس المتعدّي إذ لا يتعدّى أثره فاعله، ولا يُجاوزه إلى المفعول به، بل يبقى في نفس فاعله، مثل: ذهب سعيد، وسافر خالد[٤] .

ولكن قد يخرج التعبير عن هذا الأصل فيعدّى الفعل وهو في الأصل لازم والعكس، وحجية هذا ثبوته في قراءات القرآن مع مراعاة نظم الكلام وتأليفه، من ذلك قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ﴾[٥]، قُرئت الآية ببناء الفعل تَنْكِحُوا بناء المتعدي بالهمزة أي من الفعل أنكح[٦] ، ليصير متعدٍّ إلى

---

١ الكعبري، **إملاء ما منَّ به الرحمن** ، ج١، ص ٢٤١.

٢ سورة البقرة، الآية، ٦٢.

٣ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج١، ص ٦٦.

٤ الغلاييني، **جامع الدروس العربية**، ج١، ص ٣٤.

٥ سورة البقرة، الآية، ٢٢١.

٦ الكعبري، **إملاء ما منَّ به الرحمن** ، ج١، ص ١٠١.

مفعولين بعد أن كان متعديّاً إلى مفعول واحد هو المشركات ، قال الفرّاء: "ولو كانت ولا تُنكحوا المشركات أي لا تزوجوهن المسلمين كان صواباً[١] ، فهو من أنكحتَ الرجلَ أي زوّجته.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِى الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ﴾[٢]، قُرئت الآية بلزوم الفعل يَهْلِكُ أي بفتح الياء وكسر اللام وضم الكاف ورفع الحرث، يقول الفرّاء في ذلك: رَفَع لا يَرُدُّه على "ليفسد" ولكنه يجعله مردوداً على قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ﴾[٣] ، والوجه الأول أحسن[٤] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[٥] ، قرأ الآية ابن أبي عبلة ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبَهُ﴾، قال: "فهو من جهة قولك: سفهت رأيك وأثمت قلبك[٦] .

٣. البناء للمجهول والبناء للمعلوم:

ينقسم الفعل في العربية باعتبار فاعله إلى معلوم ومجهول، فالمعلوم ما ذكر فاعله في الكلام، نحو: مَصَّرَ المَنْصُورُ[٧] بَغْدَادَ.

والمجهول ما لم يذكر فاعله في الكلام بل كان محذوفاً لغرض من الأغراض كالإيجاز أو للعلم به، أو لتحقيره، أو لتعظيمه وغيرها[٨] .

---

١ الفراء، **معاني القرآن** ، ج١، ص ١٤٣.

٢ سورة البقرة، الآية، ٢٠٥.

٣ سورة البقرة، الآية، ٢٠٤.

٤ الفراء، **معاني القرآن** ، ج١، ص ١٢٤.

٥ سورة البقرة، الآية، ٢٨٣.

٦ الفراء، **معاني القرآن** ، ج١، ص ١٨٨.

٧ أبو جعفر المنصور، الخليفة العباسي عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، بويع بالخلافة سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م ، مات سنة ١٥٧هـ/٧٧٤م . ينظر: الخطيب البغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ج١١، ص ٢٤٤.

٨ الغلاييني، **جامع الدروس العربية**، ج١، ص ٤٩.

أما المسألة في القراءات القرآنية، فهي إما أن يكون الفعل في قراءة الجمهور مبنياً للمعلوم، أو مبنيا للمجهول في قراءة أخرى، أو العكس، مع الحفاظ على المعنى في الحالتين.

أ- البناء للمجهول:

نجد ذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أهل بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾[١] ، قرأ هذه الآية أبو جعفر[٢] "حُرِّمَ" ببناء الفعل للمجهول، وهو وجه في العربية كما ذكر ذلك الفرّاء "وقد قرأ بعضهم إنما حُرِّمَ عليكم الميتة ولا يجوز هاهنا إلا رفع الميتة والدم، لأنه فعل لم يُسمّ فاعله[٣].

وقوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[٤] ، قرأها أبو جعفر وعاصم الجحدري ليُحكَمَ[٥] ببنائه للمجهول؛ لإرادة عموم الحكم من كل حاكم، وقرأ الجمهور ليَحْكُم على البناء للفاعل أي ليحكم كل نبيّ[٦] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾[٧] ، قرأ خلف[٨] وَيُكَفِّرْ[٩] ببناء الفعل يُكَفَّر للمجهول.

---

١ سورة البقرة، الآية، ١٧٣.

٢ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج١، ص ١٣٦.

٣ الفراء، **معاني القرآن** ، ج١، ص ١٠٢.

٤ سورة البقرة، الآية، ٢١٣.

٥ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج١، ص ١٦٣.

٦ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج١، ص ١٧١. وينظر: الدمياطي، **إتحاف فضلاء البشر**، ج١، ص ١٥٦.

٧ سورة البقرة، الآية، ٢٧١.

٨ خلف بن هشام بن طالب بن غراب الإمام العلم أبو محمد البزار ، المعروف بالإمام خلف العاشر أو صاحب الاختبار أحد الأئمة القراء العشرة، ينظر: المرصفي، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس، **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، مكتبة طيبة، ج٢، ص ٦٤٢.

٩ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج١، ص ٢١٤. وقرئت الآية، –يكفر– بالنون والتاء أيضاً تكفر، نكفر، ينظر: القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٣١٧.

ب- البناء للمعلوم:

نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾[١] ، قرأ نافع ويعقوب الحضرمي وأبو جعفر المدني[٢] بفتح التاء وجزم اللام على النهي: أي ببناء الفعل تسأل للمعلوم، ويقول أبو طالب القيسي في توجيه هذه القراءة: وفي النهي معنى التعظيم لما هم فيه من العذاب، أي لا تسأل يا محمد عنهم، فقد بلغوا غاية العذاب التي ليس بعدها مستزاد.

أما في قراءة الجمهور وهي ببناء الفعل تسأل للمجهول تُسألُ فيكون المعنى على النفي، يقول القيسي: "وهو أي قوله: ولا تُسْأَلُ في موضع الحال، تقديره: إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيرا وغير سائل عن أصحاب الجحيم، ويجوز أن يرفع على الاستئناف، والرفع هو الاختبار لأنّ عليه جماعة القرّاء، ولأن ابن مسعود قرأ وما تَسْأَل فهذا أيضاً يبين معنى الرفع ويقويه، وأيضاً في قراءة أبي: وإن تُسْأَل فهذا أيضاً يبين معنى الرفع والاستئناف، ويقويّ الرفع أن قبله خبراً، وبعده خبراً، ويدلُّ على قوة الرفع قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾[٤] ، ويقوي الرفع أيضاً أنه لو كان نهياً لكان بالفاء، كما تقول: أعطيتك مالاً فلا تسألني غيره، وبالرفع قرأ الحسن وأبو رجاء وقتادة وابن أبي إسحاق والجحدري وعيسى بن عمر وغيرهم[٥] .

---

١ سورة البقرة، الآية، ١١٩.

٢ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج١، ص ١٠٧. وينظر: ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**، ج٢، ص ١٦٦. وينظر: الفراء، **معاني القرآن** ، ج١، ص ٧٥.

٣ سورة البقرة، الآية، ٢٧٢.

٤ سورة المائدة، الآية، ٩٩.

٥ القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٢٦٢.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[١] ، قرأها ابن عامر وحمزة والكسائي وخلف ويعقوب: وإليه تَرْجِعُ[٢] بفتح التاء وكسر الجيم أي البناء للمعلوم وهو عندهم مردود محمول على مثل قوله تعالى: ﴿أَلَا إلى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[٣] ، وقوله تعالى: ﴿إلى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ﴾[٤] .

ومنه كذلك قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾[٥]، قرأها الإمام عليّ ﷺ يَتَوَفَّوْنَ[٦] ببناء الفعل للمعلوم.

---

١ سورة البقرة، الآية، ٢١٠.

٢ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج١، ص ١٦١. القيسي، **الكشف عن وجوه القراءات**، ج١، ص ٢٨٩.

٣ سورة الشورى، الآية، ٥٣.

٤ سورة المائدة، الآية، ٤٣.

٥ سورة البقرة، الآية، ٢٤٣.

٦ مكرم، **معجم القراءات القرآنية**، ج١، ص ١٨٠.

الفصل الثاني

التوجيه البلاغي وعلاقته بالقراءة القرآنية

وسأتناول في القسم الأول من هذا الفصل، مفهوم التوجيه البلاغي وتعريفه لغة واصطلاحا، ثم أنتقل إلى القسم الثاني من هذا الفصل وأشرح مفهوم القراءات القرآنية من حيث تعريف القراءة ثم تعريف القرآن والفرق بين القرآن والقراءات وأقسام القراءات، ثم أبين الفرق بين القراءة والرواية والطريق، ثم أشرح معنى الأحرف السبعة، وعلاقات القراءات بالأحرف السبعة، وأذكر أسماء القراء ورواتهم، ثم أبين أهمية فوائد تعدد القراءات القرآنية.

والقسم الثالث من هذا الفصل سأتناول فيه علاقة البلاغة بالقرآن الكريم، وماذا قال العلماء والمفسرين والمتكلمين في هذا العلم وكيف بلغ القرآن الذروة في الفصاحة والبلاغة، بل هو البلاغة نفسها.

وأما القسم الرابع فقد تناولت فيه علاقة البلاغة بالقراءات القرآنية، وكيفية الترجيح بين بعض وجوه القراءات باعتبار موافقة الأفصح أو الأشهر.

والقسم الخامس والأخير من هذا الفصل، تناولت فيه التوجيه البلاغي والقراءات القرآنية، وتبيين الجوانب البلاغية العديدة في الآية التي للقراء فيهم أكر من قراءة.

أولاً: مفهوم التوجيه البلاغي

١- تعريف التوجيه:

أ) التوجيه لغة:

مأخوذ من الفعل وجّه توجيها، ووجه الشيء أي أداره إلى جهة ما. وجمْعه وجوه، يُقال وجه الرأي أي هو الرأي نفسه، وشيء موجّه إذا جعله على جهة واحدة لا تختلف[١].

ب) التوجيه اصطلاحا:

هو تعليل الوجه المختار وبيان وجهه من حيث اللغة والإعراب[٢]، قال الزركشي فيه: هو فن جليل وبه تعرف جلالة المعاني وجزالتها، وقد اعتنى الأئمة به، وأفردوا فيه كتبا[٣].

فالتوجيه من خلال ما ذكر هو تبيين وجه ما ذهب إليه كل قارئ من حيث الإعراب واللغة. وفائدته كما قال الكواشي: "أن يكون دليلا على حسب المدلول عليه، أو مرجحا إلا أنه ينبغي التنبيه على الشيء، وهو أنه قد ترجح إحدى القراءتين على الأخرى ترجيحا يكاد يُسقط القراءة الأخرى وهذا غير مرضي؛ لأن كلتيهما متواترة"[٤].

٢- تعريف البلاغة: لغة: بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى، ورجل بليغ حسن الكلام، والجمع بلغاء، وقد بلغ بلاغة أي صار بليغا[٥]، والبلاغة الوصول والانتهاء.

---

١ الرازي، **مختار الصحاح**، ج١، ص ٣٣٤.

٢ قابة، بن محمد الهادي، **القراءات القرآنية تاريخها ثبوتها حجيتها وأحكامها**، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣٠.

٣ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص ٤١٩.

٤ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١،ص.٣٣٩.

٥ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ج١، ص ٣٩.

يقال: بلغ فلان مراده، إذا وصل إليه[١]، وبلغ الركب المدينة إذا انتهى إليها، ومبلغ الشيء منتهاه.

أ) اصطلاحا: فقد ورد في تعريفها أقوال كثيرة لعلماء هذا الفن، ولكنا وجدناها كله تصب في معنى واحد، منها: هي تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة، لها في النفس أثر خلاب مع ملائمة الحال والمقام الذي يكون فيه المتحدث. هذا من تعريف القزويني الذي يقول: أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته[٢].

وكثير من علماء البلاغة لا يفرقون بين الفصاحة والبلاغة ويرون أنهما يدلان على مقصود واحد، فالإبلاغ عما في النفوس هو الإفصاح، والإفصاح عما في النفوس هو الإبانة والتوضيح، ومن ثمة ترجع الكلمتان إلى معنى واحد من قبيل اتفاق المعاني على اختلاف الأصول والمباني.

فالفصاحة من هذه الوجهة هي من (أفْصحَ يُفصحُ) أي (أظهرَ) و(أبانَ). قال تعالى: ﴿وَأَخِي هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِيٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ [٣]، أي أبينُ وأظهرُ مني قولا.

فالفصاحة إذن هي الكلمات الواضحة السهلة الفهم، والمألوفة الاستعمال والنطق والجارية على القياس، أي لا تخالف القواعد اللغوية، مع العلم أن عناصر البلاغة هي لفظ ومعنى وتأليف للألفاظ تركيبي منحها قوة وتأثيرا وجمالا ثم دقة في اختيار الكلمات والأساليب على حسب الحال والمقام.

ثانياً: مفهوم القراءات القرآنية

١- التعريف بالقراءة:

القراءة لغة: مصدر (قرأ يقرأ قراءة وقرآناً) بمعنى (تلا) فهو قارئ، ومنه سمي القرآن قرآنا[٤].

وفي الاصطلاح: فقد ذكر العلماء تعريفات عدة للقراءات، واكتفيت بأشهرها:

---

١ الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار إحياء التراث العربي،بيروت،ص.٣٢ .

٢ القزويني، **محمد بن عبد الرحمن بن عمر، الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ٤١.

٣ سورة القصص، الآية، ٣٤.

٤ ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م ، ج١، ص ١٢٩.

أ) تعريف ابن الجزري: "علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله[١]"

ب) تعريف الدمياطي: هو علم يعرف منه اتفاق الناقلين لكتاب الله، واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع[٢].

ت) تعريف الزركشي: القراءات اختلاف ألفاظ الوحي، في كتابة الحروف أو كيفيتها من تحقيق وتثقيل وغيرها[٣].

ث) تعريف عبد العظيم الزرقاني: مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفا به غيره في النطق بالقرآن الكريم مع اتفاق الروايات والطرق عنه سواء كانت هذه المخالفة في نطق الحروف أو في نطق هيئاتها[٤].

يمكن للناظر في هذه التعريفات أن يستنتج بأن التعريف الأول والثاني يُعرّفان علم القراءات، وأما الثالث والرابع فيُعرّفان القراءة والقراءات وبالتالي يكونان أقرب إلى ما نريده.

وهناك من عرّفها بأنها مذاهب الناقلين لكتاب الله في كيفية أداء الكلمات القرآنية، ولكن يبقى تعريف الزركشي: بأن "القراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرها" هو الأدق للمصطلح، ولكونه يُبعد شبهة[٥] القول بأن مبنى اختلاف القراءات هو اختلاف القراء، ويُوضّح الحقيقة التي تُرجع مبنى القراءات إلى الوحي النازل من السماء. وقريب منه تعريف الدمياطي: "هي النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي -صلى الله عليه وسلم-" ومثله أيضاً: "تلاوة ألفاظ القرآن

---

١ **ابن الجزري** ،شمس الدين أبو الخير، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م ، ص ٣.

٢ الدمياطي، **اتحاف فضلاء البشر**، ص ٥.

٣ الزركشي ، **البرهان في علوم القران** ، ج ١، ص ٣١٨.

٤ الزرقاني، عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القران** ، ص ٢٢٦.

٥ نقصد بالشبهة هنا هي اقوال المستشرقين وادعائهم بان مرجع اختلاف القران هو اختلاف القراء حسب هواهم ومعتقداتهم وارحو يقيسون الاناجيل على اختلاف الروايات في القراءات. انظر ، مقال بعنوان **القراءات القرآنية وموقف المفسرين منها**، محمد علي حسن عبد الله، مجلة البحوث الإسلامية، الرياض، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، عدد٣٥ ص ١٨٩.

الكريم كما تلاها المصطفى –صلى الله عليه وسلم– أو كما علّمها أو سمعها منه أصحابه وأقرّهم عليها"[١]. قال تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحى يوحى﴾[٢].

٢– الفرق بين القرآن والقراءات:

هناك رأيان حول ما إذا كان القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان أم لا، فذهب فريق إلى القول بأن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، ويتزعّم هذا الرأي الإمام الزركشي حين قال: "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن: هو الوحي المنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– للبيان والإعجاز، والقراءات اختلاف ألفاظ الوحي المذكورة في كتابة الحروف أو كيفيتها من تخفيف وتثقيل وغيرهما"[٣]. وهذا ما ذهب إليه الكثير من العلماء كالإمام الدمياطي[٤].

وفي المقابل هناك فريق آخر من العلماء خالفوهم الرأي وذهبوا إلى القول بأن القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد ولا يوجد بينهما فرق مستندين في ذلك على أن القرآن مصدر مرادف للقراءة، والقراءات جمع قراءة فهما بمعنى واحد. وهذا ما ذهب إليه محمد سالم محيسن، الذي يقول في معرض رده على الإمام الزركشي: أرى أن كلاً من القرآن والقراءات حقيقتان بمعنى واحد، ويتضح ذلك بجلاء من تعريف كل منهما، ومن الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القراءات[٥].

أما الرأي الوسط فخلاصته أنه إذا كان المراد من القراءات هو تلاوة ألفاظ القرآن بها مثل: يتلو القرآن بقراءة نافع، أو يتلوه بقراءة أبي عمرو فلا شك أنهما حقيقة واحدة لا يختلف فيها اثنان، وأما إذا أردنا بالقراءات علم القراءات الذي يعني مفهومه: علم يعرف به كيفية نطق الكلمات القرآنية واختلافها معزوّا لناقله. فهنا يكون القرآن وعلم القراءات غير متحدين اتحادا حقيقيا بل بينهما ارتباط وثيق، والله أعلم.

---

١ اتحاف فضلاء البشر، ص٥.

٢ سورة النجم، الآية، ٣–٤.

٣ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج١، ص ٣١٨.

٤ الدمياطي، **اتحاف فضلاء البشر** ، ص ٥.

٥ محيسن ، محمد سالم ،**القراءات وأثرها في علوم العربية** ، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ،ج ١، ص ١٠.

٣- أقسام القراءات القرآنية:

لقد أجمع العلماء على أن أقسام القراءات القرآنية ستة وهي التي أوردها الإمام السيوطي كاملة في كتابه الإتقان[١]، وهي كالتالي:

القسم الأول: المتواتر

وهو ما نقله جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة وهذا هو الغالب في القراءات.

القسم الثاني: المشهور

وهو ما صح سنده بأن رواه العدل الضابط عن مثله وهكذا، ووافق العربية والرسم، ووافق أحد المصاحف العثمانية سواء أكان عن الأئمة السبعة أم العشرة أم غيرهم من الأئمة المقبولين، واشتهر عند القراء فلم يعدّوه من الغلط ولا من الشذوذ، إلاّ أنه لم يبلغ درجة المتواتر. ومثاله ما اختلفت الطرق في نقله عن السبعة فرواه بعض الرواة عنهم دون بعض[٢].

القسم الثالث: ما صح سنده وخالف الرسم أو العربية أو لم يشتهر الاشتهار المذكور.

وهذا النوع لا يُقرأ به ولا يجب اعتقاده. من ذلك ما أخرجه الحاكم من طريق عاصم الجحدري عن أبي بكرة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قرأ: متكئين على رَفارِفَ [٣]، والنص المشهور هو قوله تعالى: ﴿مُتَّكِـينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾ [٤]

---

١ السيوطي، **الاتقان** ، ص١٩٧-١٩٨. وينظر: الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القران** ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م ، ص ٢٥٦.

٢ الصالح، **مباحث في علوم القران**، ص ٢٥٦.

٣ الصالح، **مباحث في علوم القران**، ص ٢٥٧.

٤ سورة الرحمن، الآية، ٧٦.

القسم الرابع: الشاذ

وهو ما لم يصح سنده كقراءة ابن السَّمَيْفَع لقوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾[1] بالحاء المهملة، (ننحيك)، وكلمة (خلْفك)، بفتح اللام، خَلَفَكَ.

القسم الخامس: الموضوع

وهو ما نسب إلى قائله من غير أصل، مثال ذلك القراءات التي جمعها محمد بن جعفر الخزاعي ونسبها إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان، كقراءة (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) برفع اسم الجلالة ونصب العلماء، في قوله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾[2].

القسم السادس: ما يُشبه المدرج من أنواع الحديث

وهو ما زِيد في القراءات على وجه التفسير كقراءة سعد بن أبي وقاص في قوله تعالى ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَٰجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم ۚ مِّنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ ۗ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ۚ فَإِن كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمْ شُرَكَآءُ فِى ٱلثُّلُثِ ۚ مِنۢ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَآ أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ ۚ وَصِيَّةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [3] بزيادة لفظ (من أم)، وقراءة (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم في مواسم الحج) بزيادة

---

١ سورة يونس، الآية، ٩٢.

٢ سورة فاطر، الآية، ٢٨.

٣ سورة النساء، الآية، ١٢.

عبارة (في مواسم الحج)،﴿ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَبۡتَغُواْ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّكُمۡۚ فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [١].

٤- الفرق بين القراءة والرواية والطريق:

القراءة: يُريدون بها الاختيار المنسوب لإمام من الأئمة العشرة بكيفية القراءة للفظ القرآني على ما تلقّاه مشافهة، متصلاً بسنده إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فيقولون مثلاً قراءة نافع، قراءة عاصم، وهكذا... إذن فكل ما ينسب إلى الأئمة القراء فهو قراءة، ويقال أيضا المَقرَأُ[٢].

الرواية: يريدون بها ما نسب لمن روى عن إمام من الأئمة العشرة من كيفية قراءته للفظ القرآني، أي كل ما نُسب إلى الرواة عنهم مباشرة، والمشهور أن لكل إمام من أئمة القرّاء راويين، اختار كل منهما رواية عن ذلك الإمام في إطار قراءته، وقد عُرف ذلك الراوي ونُسبت إليه، فيُقال مثلا: رواية ورش عن نافع، رواية حفص عن عاصم، وهكذا... [٣].

الطريق: وهو ما نُسب للناقل عن الراوي إن سَفَل كما يقولون: هذه رواية ورش من طريق الأزرق، فكل ما ينسب إلى الرواة عن هؤلاء الرواة وإن سفلوا فهو طريق [٤].

٥-معنى الأحرف السبعة:

الأحرف جمع حرف، والحرف في اللغة: الطرف والجانب من كل شـــيء [٥]، وكذا يطلق على أحد حروف الهجاء، كما يُطلق على الوجوه كما في قوله تعالى﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ

---

١ سورة البقرة، الآية، ١٩٨.

٢ الفضلي، عبد الهادي، **القراءات القرآنية**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ص ٣٥.

٣ الفضلي، **القراءات القرآنية**، **ص** ٣٥.

٤ نصر، عطية قابل، **القبس الجامع لقراءة الامام نافع** ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٢٦.

٥ الرازي، أبي بكر بن محمد شمس الدين، **مختار الصحاح**، ص ٣٥.

﴾[١]، حرف: أي على وجه واحد كأن يعبده على السـراء لا على الضـراء. وكل كلمة تقرأ على وجه من القرآن تسمى حرفا[٢]، كما يطلق على اللغة فيقال: حرف قريش، أي لغة قريش، إلى غيرها من المعاني.

أما المراد بالأحرف السبعة فقد اختلفت أقوال العلماء فيها اختلافا كبيرا، فذهب بعضهم إلى أن المراد بها سـبع لغات من لغات العرب وهي: قريش، وهذيل، وثقيف، وهوازن، وتميم، وكنانة، واليمن[٣]. وذهب آخرون إلى أن المراد بها معاني الأحكام كالحلال والحرام، والمحكم والمتشـابه، والأمثال والإنشـاء والإخبار[٤]، والذي عليه أغلب العلماء هو أن المقصود بالأحرف السبعة أنها عبارة عن أوجه في القراءة لا تخرج عن سـبعة مهما كثر التعدّد والتنوع في أداء اللفظ الواحد ومهما تعددت القراءات وطرقها ولو في الكلمة الواحدة[٥].

٦- علاقة القراءات بالأحرف السبعة:

لما كانت القراءات القرآنية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأحرف السبعة التي نزل بها القرآن الكريم، ونص عليها حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الذي يقول فيه: "إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"[٦]، توهم كثير من الناس أن القراءات السبعة هي الأحرف السبعة المذكورة في الحديث، والواقع يخالف ذلك لأن الأحرف السبعة نزلت في أول الأمر للتيسير على الأمة، ثم نسخ الكثير منها بالعرضة الأخيرة، مما حدا بالخليفة عثمان بن عفان إلى كتابة المصاحف التي بعث بها إلى الأمصار، وأحرق ما عداها من المصاحف[٧].

---

١ سورة الحج، الآية، ١١.

٢ الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد، **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م، ص٢١١، ج٣.

٣ القيسي، مكي بن أبي طالب، **الإبانة عن معاني القراءات**، مكتبة نهضة مصر ،١٣٩٧هـ،١٩٧٧م، ص ٣٥.

٤ القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، ص ٣٥.

٥ خبيزة، محمود يعقوب، مقال بعنوان **الأحرف السبعة والقراءات القرآنية**، مجلة دار الحديث، المملكة المغربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٦ البخاري، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م، ج٦، ص ١٦٢، ج٢، ص ٢٠٢.

٧ نصر، **القبس الجامع لقراءة الامام نافع**، ص ١٥.

والقول المشهور أن قراءات الأئمة السبعة بل العشرة التي يقرأ بها الناس اليوم هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووردت بها الأحاديث النبوية الشريفة وهي جميعها موافقة لخط مصحف من المصاحف العثمانية التي بعث بها الخليفة عثمان إلى الأمصار بعد أن أجمع الصحابة عليها وعلى اطّراح ما يخالفها، وهذا ما أقره مكّي بن أبي طالب في قوله: "إن هذه القراءات كلها التي يقرأ بها الناس اليوم، وصحّت روايتها عن الأئمة إنما هي جزء من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن، ووافق اللفظ بها خط المصحف، مصحف عثمان الذي أجمع الصحابة ممن بعدهم عليه واطرح ما سواه مما يُخالف خطه..." [١].

٧- القراء العشرة ورواتهم:

الواقع أن القراء كثيرون ذكر منهم ابن الجزري مجموعة في قوله: فكان بالمدينة أبو جعفر يزيد بن القعقاع (ت١٣٠هـ/٧٤٨م)، ثم شيبة بن نصاح (ت١٣٠هـ/٧٤٨م)، ثم نافع بن أبي النعيم (ت١٦٩هـ/ ٧٨٦م).

وكان بمكة عبد الله بن كثير(ت١٢٠هـ/٧٣٨م)، وحميد بن قيس الأعرج (ت١٣٠هـ/٧٤٨م)، ومحمد بن محيصن.

وكان بالكوفة يحيى بن وثاب (ت١٠٣هـ/٧٢٢م)، وعاصم بن أبي النجود (ت١٢٧هـ/٧٤٥م)، وسليمان الأعشى (ت١٤٨هـ/٧٦٥م)، ثم حمزة (ت١٥٦هـ/٧٧٣م)، ثم الكسائي (ت١٨٩هـ/٨٠٥م).

وكان بالبصرة عبد الله بن إسحاق (ت١١٧هـ/٧٣٥م)، وعيسى بن عمر (ت١٤٩هـ/٧٦٦م)، وأبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ/٧٧١م)، وعاصم الجحدري (ت١٢٨هـ/٧٤٦م)، ثم يعقوب الحضرمي (ت٢٠٥هـ/٨٢١م).

وكان بالشام عبد الله بن عامر (ت١١٨هـ/٧٣٦م)، وعطية بن قيس الكلابي (ت١٢١هـ/٧٣٩م)، وإسماعيل بن عبد الله بن المهاجر، ويحيى بن الحارث الذماري (ت١٤٥هـ/٧٦٣م)، ثم شريح بن زيد

---

١ القيسي، **الإبانة عن معاني القراءات**، ص ٢-٣.

الحضرمي (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م). ثم إن القراء بعد هؤلاء المذكورين كثروا وتفرقوا في البلاد وانتشروا، وخلفهم أمم بعد أمم عرفت طبقاتهم[١].

ثم اشتهر من هؤلاء سبعة حازوا الثقة وإليهم تنسب القراءات السبع، وهم كالتالي:

القراء السبعة مع أشهر راويين لكل قارئ، وأشهر طريقين لكل راوٍ منهم

القارئ	وفاته	روايته	وفاته	طريقه	وفاته
نافع بن عبد الرحمن المدني	١٦٩هـ/٧٨٦م	– قالون: عيسى بن ميناء – ورش: عثمان بن سعيد	٢٢٠هـ/٨٣٥م ١٩٧هـ/٨١٣م	عن طريق أبي نشيط عن طريق الأزرق	٢٥٨هـ/٨٧٢م ٢٤٠هـ/٨٥٤م
عبد الله بن كثير المكي	١٢٠هـ/٧٣٨م	– قنبل: محمد بن عبد الرحمن – البزي: أحمد بن محمد	٢٩١هـ/٩٠٤م ٢٥٠هـ/٨٦٤م	ابن مجاهد أبي ربيعة	٣٢٤هـ/٩٣٦م ٢٩٤هـ/٩٠٧م
أبو عمرو بن العلاء البصري	١٥٤هـ/٧٧١م	الدوري: حفص بن عمر – السوسي: صالح بن زياد	١٨٠هـ/٧٩٧م ٢٦٠هـ/٨٧٤م	أبي الزعراء ابن جرير	٢٨٠هـ/٩٨٤م –
عبد الله بن عامر الشامي	١١٨هـ/٧٣٦م	– ابن ذكوان: عبد الله بن أحمد – ابن عمار: هشام بن عمار	٢٤٠هـ/٨٥٤م ٢٤٥هـ/٨٦٠م	الأخفش الحلواني	٢٩٢هـ/٩٠٥م ٢٥٠هـ/٨٦٤م
عاصم بن أبي النجود الكوفي	١٢٧هـ/٧٤٥م	– شعبة بن عياش – حفص بن سليمان	١٩٣هـ/٨٠٩م ١٨٠هـ/٧٩٧م	يحيى بن آدم عبد الله بن الصباح	٢٠٣هـ/٨١٩م ٢١٩هـ/٨٣٤م
حمزة بن حبيب بن الزيات الكوفي	١٥٦هـ/٧٧٣م	– خلف بن هشام البزاز – خلاد بن خالد	٢٢٩هـ/٨٤٤م ٢٢٠هـ/٨٣٥م	إدريس ابن شاذان	٢٩٢هـ/٩٠٥م ٢٩٠هـ/٩٠٣م
علي بن حمزة الكسائي الكوفي	١٨٩هـ/٨٠٥م	– الدوري: حفص بن عمر – الليث بن خالد أبو الحارث	١٨٠هـ/٧٩٧م ٢٤٠هـ/٨٥٤م	جعفر النصيبي محمد البغدادي	٣٠٧هـ/٩٢٠م ٣٨٨هـ/٩٨٨م

١ النشر، ج١،ص.١٤-١٥.

وقد اشتهر هؤلاء القراء السبعة لاختيار ابن مجاهد التأليف في قراءتهم، وذلك في كتابه "السبعة في القراءات".

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن سبب اختيار ابن مجاهد لهؤلاء السبعة دون غيرهم من القراء الآخرين: "فإنه –أي ابن مجاهد– أحبّ أن يجمع المشهور من قراءات الحرميين والعراقيين والشام، إذ إن هذه الأمصار الخمسة هي التي خرج منها علم النبوة من القرآن وتفسيره والحديث والفقه من الأعمال الباطنة والظاهرة وسائر العلوم الدينية، فلما أراد ذلك جمع قراءات سبعة مشاهير من أئمة القراءات في هذه الأمصار ليكون ذلك موافقا لعدد الحروف التي أُنزل عليها القرآن، لا لاعتقاده أو اعتقاد غيره من العلماء أن القراءات السبعة هي الحروف السبعة أو أن هؤلاء السبعة هم الذين لا يجوز أن يُقرأ بغير قراءتهم"[١].

وقد قيل: "لقد فعل مسبع هذه السبعة ما لا ينبغي له وأشكل الأمر على العامة بإيهامه كل من قلّ نظره بأن هذه القراءات هي المذكورة في الخبر، وليته نقص على السبعة أو زاد ليُزيل الشبهة"[٢].

والدليل على ذلك هو ما فعله ابن الجزري في إضافة ثلاثة قراء آخرين وليدفع ذلك التوهم السائد.

القراء الثلاثة المتممون للعشرة مع أشهر راويين وأشهر طريقين لكل واحد منهم

القارئ	وفاته	روايته	وفاته	طريقه	وفاته
أبو جعفر يزيد ين القعقاع المخزومي المدني	١٢٧هـ/٧٤٥م	عيسى بن وردان سليمان بن جماز	١٦٠هـ/٧٧٧م ١٧٠هـ/٧٨٧م	الفضل ين شاذان أيوب الهاشمي	٢٩٠هـ/٩٠٣م ٢١٩هـ/٨٣٤م
يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري	٢٩٥هـ/٩٠٨م	رويس محمد بن المتوكل روح بن عبد المؤمن الهذلي	٢٣٨هـ/٨٥٣م ٢٣٣هـ/٨٤٨م	النخاس ابن وهب	٣٦٨هـ/٩٧٩م ٢٧٠هـ/٨٤٤م
خلف بن هشام البزار البغدادي	٢٢٩هـ/٨٤٤م	إسحاق بن إبراهيم الوراق إدريس بن عبد الكريم الحداد	٢٨٦هـ/٨٩٩م ٢٩٢هـ/٩٠٥م	السوسنجردي النساج الشطي	٤٠٢هـ/١٠١٢م ٣٧٠هـ/٩٨١م

١ ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م، ج١٣، ص ٣٩٠.

٢ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تخريج: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م، ج٩، ص ٣٠.

٨- أهمية وفوائد تعدد القراءات القرآنية:

لم تكن القراءات القرآنية بما فيها الأحرف إلاّ رحمة من الله، يسّر بها على عباده قراءة القرآن وفهم إشاراته وتدبّر معانيه، ولما كانت تعدد القراءات بمنزلة تعدد الآيات وأن القراءات أبعاض القرآن، من هنا كانت الأهمية بالغة الفوائد عظيمة.

وقد عدد العلماء لأهمية وفوائد القراءات القرآنية وأهمية نزول القرآن على سبعة أحرف، فوائد كثيرة نذكر منها:

١- التسهيل والتخفيف على الأمة ورفع الحرج عنهم[١]، وهذا أهم حكم إنزال القرآن على سبعة أحرف ولعلها هي علة ذلك، وذلك ظاهر من شفقة الرسول -صلى الله عليه وسلم- على أمته، حين أمر أن يُقرأ القرآن على حرف، حين يقول إذ أُمر بذلك: "أسأل الله معافاته ومغفرته، وإن أمتي لا تطيق ذلك"[٢].

وإلى هذا المعنى أشار ابن قتيبة إذ يقول: وكل هذه الحروف من كلام الله نزل به الروح الأمين على رسوله -صلى الله عليه وسلم-: وذلك أنه كان يُعارضه في كل شهر من شهور رمضان بما اجتمع عنده من القرآن، فيُحدّث الله إليه من ذلك ما يشاء، وينسخ ما يشاء، وييسّر على عباده ما يشاء، فكان من تيسيره أن أمر بأن يُقرأ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم، ولو أن كل فريق من هؤلاء أُمر أن يزول عن لغته وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتدّ ذلك عليه، وعظُمت المحنة فيه ولم يمكّنه إلاّ بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل اللسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه أن يجعل لهم متسعا في اللغات، ومتصرفا في الحركات[٣].

---

١ النشر في القراءات العشر،ج١،ص.(٥١-٥٣).

٢ صحيح مسلم،باب بيان أن القران أنزل على سبعة أحرف،رقم٨٢٠.

٣ تأويل مشكل القران،ص.٣٨،وانظر في هـ١ المعنى:النشر ج١،ص(٢٢-٢٣).

٢- إن في تعدادها كمال الإعجاز مع غاية الاختصار وجمال الإيجاز، إذ كل قراءة بالنسبة إلى الأخرى بمنزلة آية مستقلة وأن تنوع المعاني تابع لتنوع الألفاظ، ولو جعل الله كل قراءة تخالف الأخرى أي مستقلة لكان في ذلك من التطويل مما يتعارض مع جمال الإيجاز وبقاء الإعجاز[١].

٣- إن في القراءات وتعددها وتنوعها دلالة ظاهرة على فضل هذه الأمة، ويتجلى ذلك من خلال عنايتهم الفائقة بكتابهم ودراسته لفظة لفظة وحركة حركة. ونقلهم ذلك مسندا عن التقاة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فحموا كتاب ربهم من أي خلل أو تحريف أو تغيير أو تبديل، يقول جلّ جلاله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [٢].

٤- لقد كان للقرآن الكريم وقراءاته الأثر الواضح في تهذيب لهجات الكثير من القبائل العربية، ولولا القرآن وقراءاته لضاعت تلك اللهجات التي لا تزال موجودة منذ نزول القرآن إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، مع العلم أن قراءات القرآن قد استُثقلت على لهجات معظم القبائل العربية، وقد أوجد القرآن تلك اللغة الراقية المتكاملة والتي تعتبر من أرقى اللغات وأعذبها وأبلغها[٣].

٥- إن في تنوعها إفادة لأهل العلم، فالمفسر لا يجد بدا من العودة إلى القراءات لتفسير القرآن بالقرآن وغير ذلك، والفقيه للاطّلاع على الوجوه لاستنباط حكم، والنحوي لتأسي قواعده وبنائها على أساس متين، وفي ذلك يقول مصطفى صادق الرافعي: "...كانت القراءات من حجة الفقهاء في الاستنباط والاجتهاد، وهذا المعنى مما انفرد به القرآن الكريم ثم مما لا يستطيعه لغوي أو بياني في تصوير خيال فضلا عن تقرير شريعة"[٤].

وهذا ما يقرره أيضا الشيخ محمد الطاهر بن عاشور حين يقول: "وأما القراءات فلا يُحتاج إليها إلاّ في حين الاستدلال بالقراءة على تفسير غيرها وإنما يكون في معنى الترجيح لأحد المعاني القائمة من الآية أو

---

١ **معترك الأقران**، ص ١٦٩

٢ **سورة** هود، الآية، ٩.

٣ **القراءات وآثارها في علوم العربية**،ج١،ص٨١. وانظر: **ظاهرة الاعراب في النحو العربي وتطبيقها في القران الكريم**، ص٢٢٠.

٤ الرافعي، **إعجاز القران والبلاغة النبوية**، ص ٤٧.

لاستظهار على المعنى، فذكر القراءة كذكر الشاهد من كلام العرب لأنها إن كانت مشهورة، فلا جرم أنها تكون حجة لغوية، وإن كانت شاذة فحجتها لا من حيث الرواية لأنها لا تكون صحيحة الرواية، ولكن من حيث أن قارئها ما قرأ بها إلاّ استنادا لاستعمال عربي صحيح، إذ لا يكون القارئ معتدا به إلا إذا عُرفت سلامة عربيته"[١].

٦- تيسير القراءة والحفظ على قوم أميين لم يكن حفظ الشرائع مما عرفوه[٢].

٧- إظهار سرّ الله سبحانه وتعالى في كتابه وصيانته له عن التبديل والاختلاف مع كونه على هذه الأوجه الكثيرة[٣].

٨- إن دراسة القراءات القرآنية تفيد الدارس العربي من وجوه، أهمها أنها توقفه على مواد جديدة يستعين بها في الكشف عن الواقع اللغوي للجزيرة العربية إبّان نزول القرآن مما لا يُستطاع الكشف عنه بغيرها لصحة روايتها ودقة أدائها، ومنها أنها تعين مفسر القرآن على استنباط ما فيه من الأحكام والنصية والتشريعات[٤].

إضافة إلى ذلك كله فلا يمكن أن نعد النص القرآني نصا دينيا فقط، وإنما هو إلى ذلك نص أدبي معجز.

هذه جملة ما ذكر في فوائد القراءات والأحرف السبعة مع تسليمنا بأن فوائدها لا يمكن حصرها في هذه السطور.

---

١ الألوسي، **تفسير التحرير والتنوير** ، ج١، ص ٤٢-٤٣.

٢ الرافعي، **إعجاز القرآن** ،ص٤٧.

٣ السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، ج١، ص ١٦٩.

٤ خليل، السيد أحمد، **دراسات في القران**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م، ص ١٠١.

ثالثا: البلاغة والقرآن الكريم

كان القرآن الكريم ومازال المعجزة البيانية الخالدة لسائر الناس، فقد بلغ الذروة في الفصاحة والبلاغة وهو في أعلى مراتبها على الإطلاق بل هو البلاغة نفسها. وبالرغم من أنه جاء على معهود العرب في لغتهم من ناحية الكلمات والجمل والقواعد العامة، ولم يخرج في لغته عن سنن العرب في كلامهم إفرادا وتركيبا، وجرى على مألوف الكلام عندهم، إلاّ أنه أدهشهم وأعجزهم بأسلوبه الفذ، وهذا سر من أسرار إعجازه. قال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُواْ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَأَعْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [١]

وهم حينذاك أهل الفصاحة والبيان، ولكنهم وقفوا أمامه منهزمين معلنين عجزهم، فالتفوا حوله لبلاغته وسمو تعبيره، وسلّموا بأنه هو البيان وأنه هو المثل الأعلى الذي يعلو ولا يُعلى عليه.

فهذب القرآن الكريم لغتهم وألسنتهم وصار مادتهم الأساسية في البلاغة والبيان، لأنه أسمى بلاغة من كلام البشر، وأرقى من كل نص أدبي بليغ، وفي ذلك قول جميل لمحمد البوطي حيث يقول: وأصبحت بلاغة هذا الكتاب العزيز بعد ذلك هي الوحدة القياسية التي تُقاس إليها بلاغة كل نص وجمال كل تعبير، ثم تعاقبت الدراسات عليه من أرباب هذا الشأن وعلمائه، فاستخرجوا منه قواعد البلاغة ومقومات البيان ومسالك الإعجاز فكانت هذه العلوم البلاغية التي امتلأت بها المكتبة العربية، وأصبحت فنا مستقلا بذاته، ولولا القرآن لما عرف هذا الفن ولا استقامت تلك الأصول والقواعد، ولتبدد المثل البلاغي الأعلى في أخيلة فصحاء العرب وشعرائهم[٢].

وقد أثارت بلاغة القرآن وجمال بيانه اهتمام الكثير من جهابذة هذا الفن[٣]، فتكلم فيها خلق غير قليل من المفسرين والمتكلمين وبلغاء أدباء متألقون كان على رأسهم الإمام عبد القاهر الجرجاني مؤسس علم

---

١ سورة فصلت، الآية، ٤٤.

٢ البوطي، محمد سعيد رمضان، **من روائع القران**، مكتبة الفارابي، سوريا، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م، ص ٢٠.

٣ عتر، حسن ضياء الدين، **بينات المعجزة الخالدة**، دار النصر، حلب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م، ص ٢٥.

البلاغة في كتابيه "أسرار البلاغة" و "دلائل الإعجاز"، والقاضي الباقلاني في كتابه "إعجاز القرآن"، والرماني في كتابه "الإعجاز"، وكتاب "المجاز" لأبي عبيدة، وكتاب "نظم القرآن" للجاحظ وغيرها.

وصار لزاما على كل دارس للبلاغة العربية أن يمعن النظر في دراسة إعجاز القرآن العظيم وينهل من روضه الخلاب ومن منهله الذي لا ينضب، **ومن نماذج بينات البلاغة القرآنية:**

يقول تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[١]. إن آية من كتاب الله كما سنرى قد يُفرد في إيضاحها وإبراز مواطن الجمال فيها وعرض الألوان البلاغية التي تضمنتها كتبا ومصنفات خاصة. ففي آية واحدة من مثل هذه الآية من كتاب الله تعالى استُخرج منها واحد وعشرون ضربا من البديع.

يقول الإمام السيوطي في هذه الآية يا أرض ابلعي ماءك...الآية: أمر ونهى وأخبر ونادى ونعت وسمّى وأهلك وأبقى وأسعد وأشقى، وقص من الأنباء ما لو شُرح ما اندرج في هذه الجملة من بديع اللفظ والبلاغة والإيجاز والبيان لجفت الأقلام[٢].

وقد أورد ابن أبي الأصبع المصري فيها قولا مطولا حول بديع هذه الآية الكريمة لأهميته، أي ما ورد فيها من البديع.

١- المناسبة التامة: في قوله أبلعي واقلعي، وهو يندرج في قسم المناسبة اللفظية التامة[٣] والتي تُعنى بتوخي الإتيان بكلمات متزنات والأمثلة في ذلك كثيرة.

٢- المطابقة اللفظية: وذلك في ذكر السماء والأرض.

٣- الاستعارة: في قوله ابلعي وأقلعي للأرض والسماء.

---

١ سورة هود، آية ٤٤.

٢ السيوطي، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، ج١، ص ٢٩٨.

٣ قسم ابن أبي الأصبع المصري المناسبة إلى لفظية ومعنوية، وقسم اللفظية إلى تامة وغير تامة، وفصّل فيها القول بالشواهد والأمثلة، ينظر: المصري، ابن أبي الأصمع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق، حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص ٣٦٣.

٤- المجاز: في قوله "يا سماء"، أي يا مطر السماء، أو يا سحاب السماء، أو يا سحاب لكونه بالنسبة للمخاطب عاليا، وقد تجاوزت العرب حذف المضاف إلى حذف مضاف ثان بعد حذف المضاف الأول، كقولنا: إذا نزل السماء، أي مطر السماء[١].

٥- الإشـــارة: وهي عند البلاغيين أن يكون اللفظ القليل مشـــتملا على المعنى الكثير بإيماء أو لمحة تدل عليه، ولهذا أطلق عليه اســـم التلميح[٢]، وهو في قوله وغيض الماء فإنه جل جلاله أشـــار بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة الماء من مطر الســـماء ونبع الأرض وذهاب الماء الذي كان حاصـــلا على وجه الأرض قبل الإخبار، إذْ لو لم يكن ذلك لما غاض الماء[٣].

٦- الإرداف: وهو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، ويعبر عنه بلفظ هو ردفه وتابعه، ونجده في قوله واستوت على الجودي، فإنه عبر عن استقرار السفينة على هذا المكان وجلوسها جلوسا متمكنا لا زيغ فيه ولا ميل بلفظ قريب من لفظ الحقيقة[٤].

٧- التمثيل: في قوله (وقضي الأمر).

٨- التعليل: لأن (غيض الماء) علة الاستواء.

٩- صحة التقسيم: حين استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه.

١٠- الاحتراس: في قوله (وقيل بُعدا للقوم الظالمين).

١١- الانفصال: فإن لقائل أن يقول، إن لفظة القوم مستغنى عنها فإنه لو قيل (وقيل بعدا للظالمين) لتم المعنى... [٥].

١٢- المساواة: لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه ولا ينقص عنه.

---

١ ابن أبي الأصمع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، ، ص ٤٥٨.

٢ الهاشمي، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، ص ٣٢ .

٣ ابن أبي الأصمع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، ، ص ٢٠٢.

٤ ابن أبي الأصمع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، ، ص ٢٠٧.

٥ ابن أبي الأصمع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، ، ص ٢٠٩.

١٣- حسن النسق: وذلك في عطف القضايا بعضها على بعض بأحسن ترتيب حسبما وقعت.

١٤- ائتلاف اللفظ مع المعنى: لكون كل لفظة لا يصلح في موضعها غيرها.

١٥- الإيجاز: لأنه سبحانه قص القصة بلفظها مستوعبة، بحيث لم يخل منها بشيء في أخصر عبارة بألفاظ غير مطولة.

١٦- التسهيم: لأن من أول الآية إلى قوله تعالى (أقلعي) يقتضي آخرها.

١٧- التهذيب: لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، كل لفظة سهلة مخارج الحروف وعليها رونق الفصاحة.

١٨- حسن البيان: من جهة أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يُشكل عليه شيء منه.

١٩- التمكين: لأن الفاصلة مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكانها.

٢٠- الانسجام: وهو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبك مع جزالة اللفظة.

٢١- الإبداع: وهو الذي سُمي به هذا الباب، إذ في كل لفظة بديع وبديعان، ويختم كلامه بقوله: فانظر رحمك الله إلى عظمة هذا الكلام، وما انطوى عليه نظمه وما تضمنه لفظه لتقدره قدره، وهذا ما ظهر لي منه على ضعف نظري وقلة مادتي من العلوم وكلال ذهني والله أعلم[١].

ولم ينته الأمر عند الحد من الاجتهاد والاستجلاء بل راح البلغاء المهرة والمتذوقون الخلّص يفصلون فيها القول وتركوا لنا ما لا يكاد يصفه الواصفون. فقد درس العلامة السكاكي هذه الآية من أربع جهات: من جهة علم البيان، وجهة علم المعاني وجهة الفصاحة المعنوية وجهة الفصاحة اللفظية، وأبدع فيها إبداعا فائقا[٢].

---

١ ابن أبي الأصمع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، ، ص ١٩٨-٢١١.

٢ السكاكي، **مفتاح العلوم**، ص ٢٢١-٢٢٤.

فكل هذا وما ذكره السابقون وما سيذكره اللاحقون حول ما تضمنته هذه الآية الكريمة من بدائع وجمال في التعبير والبلاغة أو في أي آية من كتاب الله، ما هو إلا قطرة من فيض، قال تعالى: ﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا﴾[١]، وما هو إلا زهرة من رياض ما يتأتى لعقل بشري أن يكشف أسراره أو يستنبط مكنوناته والله أعلم.

رابعا: البلاغة والقراءات القرآنية

لم تكن القراءات القرآنية من قبيل الهوى، بل هي مما روي عن الصحابة الأوائل بسند صحيح ومتواتر عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، فإذا كان كلام البشر لابد أن يحصل فيه نقص أو عيب أو تناقض أو اختلاف أو عدم مطابقة الواقع وهو قابل للخطأ أو الصحة والحق والباطل، فإن كلام الله جل جلاله كما وصفه هو سبحانه: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾[٢]، فوصف الله القرآن (تنزيل من حكيم حميد) وليس فيه اختلاف وهو حق كله، فهو الذي دعانا إلى التفكر فيه والتدبر في قوله تعالى: ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا﴾[٣].

والقراءات بعد هذا حصر بالوجوه التي أُثرت عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ونقلها عنه القراء الضابطون إذ لا زيادة لمستزيد، وخير ما جاء في وصفها أنها سنّة يأخذها الآخر عن الأول، وفي ذلك يقول أبو عمرو الداني: وأئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة أو الأقيس في العربية، بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل والرواية، إذا ثبتت عندهم لا يردها قياس عربية ولا فشوّ لغة، لأن القراءة سنّة[٤].

وإن ترجيح بعض وجوه القراءات على بعض إنما هو باعتبار موافقة الأفصح أو الأشهر أو الأكثر من كلام العرب وإلاّ فالقرآن واحد بالذات متفقه ومختلفه لا تفاضل فيه، وفي ذلك يقول ابن جني: وليس

---

١ سورة الكهف، الآية ١٠٩.

٢ سورة فصلت، الآية ٤٢.

٣ سورة النساء، الآية ٨٢.

٤ ابن الجزري، **النشر في القراءات العشر**،ج١، ص ١٠.

لك أن تردّ إحدى اللغتين بصاحبتها لأنها ليست أحق بذلك من رسيلتها لكن غاية مالك في ذلك أن تتخير إحداهما فتُقويها على أختها، وتعتقد أن أقوى القياسين أقبل لها وأشد أنسا بها. فأما ردّ إحداهما بالأخرى فلا، أوَلا ترى إلى قول النبي –صلى الله عليه وسلم–: "نزل القرآن بسبع لغات كلها كاف وشاف"[١].

لهذه الأسباب وتلك وجّه النحويّون واللغويّون، قدماء ومحدثين، اهتمامهم إلى دراسة هذه القراءات في شتى مناحيها اللغوية، خاصة إذا سلّموا بأنها والقرآن الكريم حقيقتان بمعنى واحد.

ومن هنا كان لزاما عند الاعتناء بالقرآن الكريم وبلاغته أن يتفرع عنه جانب مهم وهو الدراسات الخاصة بالقراءات القرآنية، متواترها وشاذها، وبالتالي يكون كل ما قيل حول القرآن ينطبق على القراءات القرآنية.

وثمة وجه من وجوه الاختلاف بين هذه القراءات لا يمكن حصره في مجال هذا البحث أو إلى اختلاف اللهجات أو أنه وجه من اختلافات صوتية في معظمها، وهذا يندرج تحت ما يُعرف بالأصول[٢] في علم القراءات. وفضلا عن هذا فثمة وجه آخر من وجوه هذا الاختلاف لا يمكن ربطه بحال إلى اختلاف اللهجات كاختلاف في التقديم والتأخير والذكر والحذف وتعاقب حروف المعاني، وتعاقب صيغ الأسماء والأفعال، وبعض وجوه الإعراب وغير ذلك مما قد يُغيّر اللفظ والتغيير عن صفته، الأمر الذي يؤدي إلى تعدد في البلاغة والدلالة والزيادة في البيان والإيجاز، وهي رافد آخر لتكثير المعاني القرآنية.

خامسا: التوجيه البلاغي والقراءات القرآنية:

لقد أُلّفت كتب كثيرة في القراءات القرآنية الصحيحة منها والشاذة، وكان أول إمام فيها هو أبو عبيد القاسم بن سلام، الذي جعل القراء خمسة وعشرين قارئا مع السبعة[٣]، وكانت هذه المؤلفات في أغلبها

---

١ سلطاني، محمد علي، **حجة القراءات في منهج النحاة**، مقال نشر في مجلة بحوث ودراسات في اللغة، التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد١، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٩٧م، ص ١٧٠.

٢ ويقصد بالأصول: هي قواعد القراءة لكل رواية، نحو المدود والهمزات والإمالة أو التقليل ، وضم ميم الجمع، وغيرها.

٣ النديم، محمد بن اسحاق، **الفهرست**، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م، ص ١٧٠.

عبارة عن جمع وإحصاء للقراءات القرآنية، كما فعل ابن سلام وغيره. ولعل إطلالات المصطلح _التوجيه مفهوما ومضمونا_ كان مرتبطا بموقف القراء من القراءات القرآنية وشروطهم التي وضعوها في قبول القراءة وصحتها، وهي تلك الشروط الثلاثة[١]:

١- صحة سندها إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

٢- موافقة رسم المصحف المجمع عليه.

٣- موافقتها وجها من وجوه العربية.

وبالنظر إلى الشرط الثالث من هذه الشروط التي وضعها العلماء في ضبط القراءة الصحيحة وهو موافقة وجه من وجوه العربية، ظهرت كتب أخرى متخصصة بتوجيه القراءات توجيها لغويا، غير الكتب التي عنيت بجمع القراءات الصحيحة أو الشاذة بغير تعليل أو توجيه.

والحق أن توجيه القراءات في اللغة معروف موجود، ولعل أول ما وصل إلينا من كتب العربية كتاب سيبويه، وإن كان ما ورد فيه من هذه القضية -توجيه القراءة- لا يؤهله كي يعد ضمن كتب التوجيه للقراءات القرآنية. فمن توجيهاته للقراءات، توجيهه لقراءة من قرأ قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾، حيث قرأ نافع ميسُرة بضم السين والباقون بفتحها ميسَرة. فقد وجهها سيبويه بحملها على إرادة الاسم لا على إرادة المصدر، فقال:"كل هذه الأبنية يقع اسما... لا مصدرا ولا لموضع العمل"[٢].

ومن ذلك أيضا توجيهه لقراءة ابن أبي إسحاق لقوله تعالى: ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [٣]، بقوله: بالنصب على حذف الفعل[٤] أي بتقدير فعل محذوف.

---

١ الأفغاني، سعيد، **في أصول النحو**، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م، ص٢٩.

٢ الكتاب: ج٤،ص(٩٠-٩٠).

٣ سورة يس، الآية، ١-٢.

٤ ابن جني، ابو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها**، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م، ج٢، ص ٣٤٨.

وما ظهر بعد سيبويه من الكتب كانت على هذا النسق تقريبا، ولكن الكتب التي كُرّست للاحتجاج للقراءة _أي توجيهها_ ظهرت فيما بعد واستمرت في الظهور إلى يومنا هذا، وسبب ذلك الاهتمام وهذه الاستمرارية يرجع لأهمية موضوعها في ضبط قراءة القرآن الكريم، وبالتالي القرآن والدين؛ والعرب مندوبون إلى فهم القرآن ووعي تعاليمه، فإذا فسدت قراءته في ألسنتهم اختل ميزان الفهم في عقولهم، ونتج عن ذلك تحريف لكلام الله عز وجل عن موضعه، لأن أي خطأٍ في القراءة يعني خطأً في الإعراب ينجم عنه خطأٌ في الفهم. وخير دليل على ذلك القصة المشهورة التي مفادها "أن أعرابيا قدم المدينة يطلب أن يُقرأ القرآن، فأقرأه بعضهم بكسر اللام من لفظ ورسولِه عطفا على المشركين، ﴿ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، فقال الأعرابي: إن يكن الله بريئا من رسوله فأنا أبرأ منه أيضا، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب – –رضي الله عنه– فأمر ألاّ يُقرئ القرآن إلاّ عالم باللغة"[2].

والأمثلة على هذا كثيرة ومتنوعة، وإضافة إلى ذلك كله فالقرآن هو دستور هذه الأمة بنور كلماته تستضيء عقول المسلمين.

ولعل أقدم من ألف في الاحتجاج للقراءة هو أبو العباس المبرّد في كتابه "احتجاج القراءة"، وربما أُلفت كتب قبله لم يكتب لها البقاء في هذا المجال. ثم توالت بعده الكتب المتخصصة وربما فُقد بعضها ووصل إلينا بعضها الآخر. ولعل من أشهر هذه الكتب التي كتب لها البقاء ووصلت إلينا كتاب "الحجّة" لأبي على الفارسي، وكتاب "الحجّة" لأبي زرعة، وكتاب "الحجة في القراءات السبع" لابن خالويه، ثم بعدهم كتاب "النشر في القراءات العشر" لابن الجزري، وكتاب "إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر" لابن البناء. ومن المتأخرين كتاب "الكشف عن القراءات السبع وعللها وحججها"

---

١ سورة التوبة، الآية، ٣.

٢ مكرم، عبد العال سالم، **الحلقة المفقودة في تاريخ النحو**، مؤسسة الوحدة ،الكويت.

لمكي بن أبي طالب القيسي. ومن المعاصرين نجد كتاب "المغني في توجيه القراءات العشر المتواترة" للدكتور محمد سالم محيسن.

ثم تخصص الاحتجاج والتوجيه ليشمل توجيه القراءات الشاذة وتبيين جوانبها اللغوية والنحوية، ولعل أهمها كتاب "المحتسب" لابن جني، وكتاب "المختصر في شواذ القرآن" لابن خالويه، وكتاب أوسع وأشمل وهو "إملاء ما منّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن" لابن البقاء العُكبري. ولا زال التأليف فيها قائما إلى يومنا هذا مثل كتاب "القراءات الشاذة وتوجيهها النحوي" للدكتور أحمد محمود أحمد الصغير.

وفي هذه الكتب وغيرها من الكتب التي تناولت الاحتجاج للقراءات بطرف نجد ما يمكن أن نسميه توجيها صوتيا، وآخر توجيها صرفيا وآخر نحويا، ولكن في أغلبها نجدها -الكتب- توجّه القراءة حسب الظاهرة اللغوية البارزة فيها أو التي تعرض لهم، غير أننا لانجد للتوجيه البلاغي —وهو جزء من التوجيه اللغوي للقراءة القرآنية- مؤلفا منفردا أو خاصا قديما ولا حديثا، كما وجدنا الأمر في الظواهر اللغوية الأخرى. إلاّ أننا لا نعدم تلك الإشارات حين التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية.

الفصل الثالث

مظاهر البلاغة في القراءات القرآنية في سورة الكهف

سورة الكهف مكية، في قول جميع المفسرين، وآياتها ١١٠، [١] نزلت بعد سورة الغاشية، وهي إحدى سور خمس بُدِئت بـ " الحمد لله" ، تحدثت السورة عن قصة ذي القرنين وسيدنا موسى والرجل الصالح، قال إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: ألا أدلكم على سورة شيعها سبعون ألف ملك ملأ عظمها ما بين السماء والأرض لتاليها مثل ذلك . قالوا: بلى يا رسول الله. قال: سورة أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر له الجمعة الأخرى وزيادة ثلاثة أيام، وأعطي نورا يبلغ السماء ووقي فتنة الدجال [٢].

وسوف يتم البحث في هذا الفصل في مظاهر البلاغة في القراءات القرآنية في سورة الكهف إن شاء الله تعالى، وهي تتمثل في:

أولا: التقديم والتأخير.

ثانيا: الذكر والحذف.

ثالثا: التعريف والتنكير.

رابعا: الالتفات.

خامسا: الإفراد والجمع.

سادسا: التذكير والتأنيث.

---

١ القرطبي، محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م، ج١٠، ص ٣٤٦.

٢ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص ٣٤٦.

أولا: التقديم والتأخير:

يعد التقديم والتأخير متغيراً أسلوبياً في اللغة لأنه عدول عن القاعدة العامة وذلك بتحويل الألفاظ عن مواقعها الأصلية لغرض يتطلبه المقام، إذ يكون هذا العدول بمثابة منبه فني يعمد إليه المبدع ليخلق صورة فنية متميزة[١].

فالتقديم "هو تبادل في المواقع، تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى لتؤدي غرضاً بلاغياً ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي[٢] .

وإذا كانت البلاغة مبنية على ترتيب الألفاظ وجمال موقعها في السياق فإن أسلوب التقديم والتأخير له المساحة الأكبر في هذه البلاغية ليصل منشئ الكلام إلى أقصى حد من التأثير في المتلقي.

ولأهمية هذا المتغير الأسلوبي فقد عني به علماء اللغة منذ عصر مبكر فهذا سيبويه يقول في تقديم المفعول به على الفاعل مثل قولنا "ضرب زيدا عبد الله"، فمن ثم كان هذا اللفظ أن يكون فيه مقدما وهو عربي جيد كثير، كأنهم إنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى وإن كان جميعا يهمانهم ويعنيانهم[٣]، وسماه ابن جني مع أبواب أخرى بـ باب شجاعة العربية [٤] لما يولده من معان بلاغية.

وقد حظي هذا الإجراء الأسلوبي عند شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني بدراسة متميزة، إذ نبه إلى مكانته في البلاغة وعزا الفضل لجمال الكلام وحسن تأثيره في المتلقي إلى جمال نظمه، إذ يقول: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قُدّمَ فيه شيء وحُوّلَ اللفظ عن مكان إلى مكان"[٥] .

---

١ عبد المطلب، محمد ، **البلاغة والأسلوبية**، دار نوبار للطباعة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ج١، ص ٢٠٠.

٢ سلطان، منير، **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، معارف الإسكندرية، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م، ج١، ص ١٣٨.

٣ سيبويه، **الكتاب**، ج١، ص ١٤-١٥.

٤ بن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، دار الشؤون الثقافية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ج٢، ص ٣٦٠.

٥ الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج١، ص ١٠٦.

لقد أدرك الجرجاني بذائقته البلاغية المتميزة العلاقة القوية بين كل شكل منحرف عن المعيار وبين ناتجه الدلالي، كاشفاً عن القيمة الجمالية والطاقة التعبيرية التي تتأتى من إدراك كيفية صياغة الكلام. ومن هنا فقد يكون الكلام واحداً في مادته وحروفه ولكن قد تختلف صيغته وترتيب كلماته من متكلم لآخر بل عند المتكلم الواحد، إذا اختلف المعنى في نفسه.

وعد ابن الأثير التقديم والتأخير بأنه باب "طويل عريض يشتمل على أسرار دقيقة "[١] .

وتابع الزملكاني الجرجاني في عد سبب التقديم والتأخير في الكلام تبعاً لمعناه في القلب فقال: "التقدم في اللسان تبع للتقديم في الجنان"[٢] ، فإحداث تغيير في بنية التركيب يأتي لتحقيق غرض جديد، يتعلق بالبنية الداخلية المرتبطة بالمعنى في ذهن المتكلم[٣]، فأي تحول في المبنى يحدث تغييراً في المعنى[٤]، حسب مقتضيات الظروف والمواقف والدوافع النفسية والشعورية لطرفي عملية الاتصال، المبدع والمتلقي.

وفائدة التقديم والتأخير: هو ترتيب الألفاظ في النطق تبعا لترتيب المعاني في النفس، ومن هنا فقد يكون الكلام واحدا في مادته وحروفه، مع إمكانية اختلاف صيغته وترتيب كلماته من متكلم لآخر، بل عند المتكلم الواحد، إذا اختلف المعنى في نفسه[٥].

وإذا كان لأسلوب التقديم والتأخير هذا الأثر العميق في تغيير المعنى تبعاً لتغير موقع الكلمة في بنية التركيب، وبروز هذه الثنائية في القرآن الكريم لها خصوصية قرآنية فريدة، فلكل تعبير معناه في التقديم والتأخير ولكل تبدل في موقع أحدهما هدفه ومغزاه، فالكلمة القرآنية تختلف عن سائر الكلمات لأنها تحمل معها أفكاراً ورؤى ومعاني متدفقة مخصوصة تضفي على النص جمالية مخصوصة في سياقها المخصوص، فكأن هذا المكان وهذا الموقع خلقت له تلك اللفظة بعينها وفي ذات الموقع بعينه، وإن أي

---

١ ابن الأثير، ضياء الدين ، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، منشورات دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١، ص ١٧٥.

٢ ابن الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م، ج١، ص ٢٩٠.

٣ عمايرة، خليل أحمد، **في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق**، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص ٨٩.

٤ عمايرة، **في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق**، ج١، ص ١٨٧.

٥ عباس، فضل حسن، **البلاغة فنونها وأفنانها**، دار الفرقان للنشر و التوزيع، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م، ص ٢٠٧.

كلمة أخرى أو الكلمة نفسها في غير الموقع نفسه لا تستطيع توفية المعنى نفسه، فكل كلمة وضعت في موضعها لتؤدي نصيبها من المعنى أقوى أداء[١] .

إن احتواء أسرار هذه الثنائية في القرآن الكريم قد يستغرق صفحات كثيرة، ولكن أقول بإيجاز إن الكشف عن جمال هذا الأسلوب في القرآن هو الكشف عن منبع من منابع الإعجاز القرآني وطرائق استعمالاته المتباينة على وفق أسس لغوية تبين روعة الأداء التركيبي والدلالي والأسلوبي الذي يوضح خروج نظم القرآن عن نظوم كلام البشر[٢] ، ذلك أن القرآن الكريم قد فاق المعهود من نظام كلام العرب، وتصرف في ثنائية التقديم والتأخير، بحيث لو أجري أي تبديل على أمكنتها لاختل النظام ولما عاد له ذلك السبك والرونق الذي كان عليه من قبل[٣] .

والتقديم والتأخير في القرآن الكريم كثير، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ﴾[٤] ، يقول الجرجاني: وإنما قدم الاستغفار على التوبة لأن الإنسان يستقبح الشر ويعرض عنه مستغفراً، ثم يستفتح الخير ويقبل عليه مستوفياً[٥] .

وكذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾[٦]، والشّاهد فيها؛ أنَّ لفظة نبيّ جاءت معطوفةً على لفظة رسول؛ ممّا يدلّ على التغاير والاختلاف بينهما، فلو لم يكن ثمة فارق بينهما لما ذُكرا معاً ولكفى ذكر أحدهما، والفرق بين الرّسول والنبي هو أنَّ الرّسول من أُوحِيَ إليه بشرعٍ جديد –أي ديانةٍ وشريعةٍ جديدةٍ كاليهوديّة والنصرانيّة والإسلام–، أمَّا النبيّ فلم يُوحَ له بشرعٍ جديدٍ، وإنَّما بُعث لتقرير شرع من قبله من الرسل، وهذا يفيد أنَّ الرّسول أعمُّ من النبيّ؛ إذ إنَّ كلَّ رسولٍ نبيّ، وليس

---

١ الرافعي، مصطفى صادق، **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م، ج١، ص س٢٠٥.

٢ الكردي، عز الدين محمد، **التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ج١، ص ٣٦.

٣ قنيبي، حامد صادق ، **المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية**، الزرقاء، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ج١، ص ٤٢٩.

٤ سورة هود: الآية، ٣.

٥ الجرجاني، عبد القاهر، **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر**، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م، ج٢، ص٣٤.

٦ سورة مريم، الآية، ٥١.

كلُّ نبيّ رسول، حيث يُوحَى للرّسول بشرعٍ جديدٍ علاوةً على تقرير ما جاء به من قبله من الرُّسل والأنبياء، أمّا النبيّ فُيقرّر ويُؤكّد ما شُرِعَ قبله دون أن يُبعَث بشرعٍ جديد [١].

وقد ورد في هذا الجانب آيات من سورة الكهف، من ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا﴾[٢] ، وقوله ﴿قَيِّمًا﴾[٣] ، قال الجرجاني: فيها تقديم وتأخير، وتقديرها: أنزل على عبده الكتاب قيّماً، ولم يجعل له عوجاً[٤] ، فهو في المعنى مقدم، وإن كان في اللفظ مؤخراً، والمعنى المقصود من الآية: الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قيماً، ولم يجعل له عوجاً – وتأخير المقدم وتقديم المؤخر في الذكر أحياناً أمر متعارف في اللسان العربي، والمراد نفي العوج عن القرآن وفي هذه الآية نفي الاختلاف والتناقض والتعارض عن مبانيه ومعانيه، وإثبات الاستقامة والحكمة والصواب لجميع أحكامه ومراميه.

ومن ذلك تقدّم البصر على السمع لعلّة يحملها السياق، جاء في قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِ أَحَدًا﴾[٥]، فتقدم البصر على السمع على خلاف المعتاد في آيات الذكر الحكيم، لأن الحديث والله تعالى أعلم يختصّ بجناب الله تعالى وقدرته على العلم بدقائق الأشياء فيستوي عنده كل شيء، يقول الزمخشري: "وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حدّ ما عليه إدراك السامعين والمبصرين، لأنّه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها، كما يدرك أكبرها حجمًا وأكثفها جرمًا ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر"[٦] . وتأويل الكلام: "ما أبصر الله لكلّ موجود، وأسمعه لكلّ مسموع، لا

---

١ الآلوسي (١٤١٥هـ)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (الطبعة الأولى)، بيروت: دار الكتب العلمية، صفحة ١٦٤-١٦٥، جزء ٩. بتصرّف.

٢ سورة الكهف، الآية، ١.

٣ سورة الكهف، الآية، ٢.

٤ الجرجاني، **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِير الآيِ والسُّوَر**، ج٢، ص ٣٤.

٥ سورة الكهف، الآية، ٢٦.

٦ الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ج٢، ص ٧١٦.

يخفى عليه من ذلك شيء"[١] . يقول عبد الغني الراجحي: "والقاعدة التي انتهينا إليها بعد طول النظر والبحث أنه بالنسبة للخلق والعباد وفي مقام ذكر حواسهم والاستفادة بها، وفيما يوحى إليهم من الرسالات، أو عدم الانتفاع بها في هذه المجالات يتقدم السمع على البصر، لأن الوليد يكتمل تمييزه بسمعه قبل بصره، ولأن المسموعات من جميع الجهات، والمرئيات من جهة واحدة، ولأن الانتفاع بالسمع في مقام الهدايات والنبوات أكثر، هذا بالنسبة للعباد لا يكاد يتخلف فيأتي البصر قبل السمع إلا لملحظ بلاغي"[٢] .

ثم يُخرج الراجحي الآيات التي قُدم فيها البصر على السمع تخريجاً لا يخالف عليه، حيث يقول: "أما بالنسبة إلى الله جلَّ جلاله فالأمر فيه على خلاف البَشر لا ترتيب ولا تفاوت عنده بين المسموعات والمبصرات، فإذا جاء البصر متقدماً على السمع -كما في سورة الكهف- أو جاء السمع مُقدماً على الرؤية -كما في سورة طه - فلا غضاضة في ذلك لا سيما إذا كان كل واقعاً موقعه لمناسبات لفظية ومعنوية تقضي بذلك"[٣] .

وقد خولف هذا الأصل -شأنه شأن كل الأصول- لاعتبارات مناسبة، فقوله تعالى في سورة الكهف: ﴿أَبصرْ به وَأَسْمِعْ﴾ قد تقدم عليه قوله: ﴿لهُ غَيْبُ السماوات وَالأَرْضِ﴾، وَالغيب شامل للمبصرات والمرئيات والمسموعات وغيرهما، لكن ما غاب من المخاطب من مبصرات السموات والأرض - إذ هو الكون كله وما وقع عليه بصر المخاطب من حيز ضيق محدود - أكثر بهذا الاعتبار مما غاب عنه من مسموعات .. لذلك اقتضى المقام الإتيان بالبصر مقدماً على السمع[٤] .

يقول علي صبح: "جاء ختام قصة أصحاب الكهف بقوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾[٥] ، ليقتضي الإعجاز تقديم البصر على السمع هنا، لاعتماد القصة على

---

١ الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج١٧، ص ٦٥٠.

٢ المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م، ج٢، ص١١١.

٣ المطعني، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ج٢، ص١١١.

٤ المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، ج٢، ص١١١.

٥ سورة الكهف، الآية، ٢٦.

مشاهد كونية في الطبيعة غنية بالمظاهر الفاتنة، والألوان الساحرة التي تشرق عليها الشمس صباحًا وتغرب عنها مساء، فتأخذ بالبصر كل مأخذ لا بالسمع، قال تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾[١] ، لذلك كان التصوير القرآني لرؤى هذه المشاهد بالبصر أولًا، ولأن الأمر هنا مختص بالله –عز وجل– لا بالبشر، فسبحانه وتعالى يستوي لديه المسموعات والمبصرات على سبيل الانكشاف التام، فلا يخرج شيء من علم الله القديم الشامل"[٢] .

يقول فاضل السامرائي: "والمعلوم أن الأكثر في القرآن تقديم السمع على البصر لأن السمع أهم من البصر في التكليف والتبليغ لأن فاقد البصر الذي يسمع يمكن تبليغه أما فاقد السمع فيصعب تبليغه ثم إن مدى السمع أقل من مدى البصر فمن نسمعه يكون عادة أقرب ممن نراه، بالإضافة إلى أن السمع ينشأ في الإنسان قبل البصر في التكوين. أما لماذا قدّم البصر على السمع في الآيتين المذكورتين فالسبب يعود إلى أنه في آية سورة الكهف الكلام عن أصحاب الكهف الذين فروا من قومهم لئلا يراهم أحد ولجأوا إلى ظلمة الكهف لكيلا يراهم أحد لكن الله تعالى يراهم في تقلبهم في ظلمة الكهف وكذلك طلبوا من صاحبهم أن يتلطف حتى لا يراه القوم إذن مسألة البصر هنا أهم من السمع فاقتضى تقديم البصر على السمع في الآية"[٣] .

ومن أساليب التقديم والتأخير في المعنى التي تضفي إلى التعظيم، تقديم الحليّ على اللباس، وخير شاهد على ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾[٤]، فيعلق الأندلسي على هدف التقديم هنا بالقول: " وقدمت التحلية على اللباس لأن الحلي في النفس أعظم وإلى القلب أحب، وفي القيمة أغلى، وفي العين أحلى"[٥] .

---

١ سورة الكهف، الآية، ١٧.

٢ صبح، علي علي، **التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية**، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م، ج١، ص ٧١.

٣ السامرائي، فاضل صالح ، **أسرار البيان في التعبير القرآني**، ج١، ص٧١.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣١.

٥ الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ج٧، ص ١٧١.

وكذا في قوله تعالى: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[١] ، إذ يقول الكسائي: قراءة "لكن هو الله" بمعنى لكن الأمر هو الله ربي، فأضمر اسمها فيها. وقرأ الباقون" لكنا" بإثبات الألف. قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير، تقديره: لكن الله هو ربي أنا، فحذفت الهمزة من "أنا" طلباً للخفة لكثرة الاستعمال وأدغمت إحدى النونين في الأخرى وحذفت ألف "أنا" في الوصل وأثبتت في الوقف. وقال النحاس: مذهب الكسائي والفراء والمازني أن الأصل لكن أنا فألقيت حركة الهمزة على نون لكن وحذفت الهمزة وأدغمت النون في النون فالوقف عليها لكنا وهي ألف أنا لبيان الحركة[٢] . ومعنى قوله تعالى: لكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي، أي لكن أنا لا أقول بمقالتك، بل أعترف لله بالوحدانية والربوبية وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَداً أي بل هو الله المعبود وحده لا شريك له[٣] .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[٤] ، وهي تقرأ على وجهين: أحدهما برفع الحق، والآخر بجره. فمن قرأها بالرفع يقول: هناك الولاية الحق لله، فيها تقديم، ومن قرأها بالجر يقول: لله الحق[٥] .

هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقّ، قال القرطبي: "وتقديره على التقديم والتأخير: الولاية لله الحق هنالك، أي في القيامة"[٦] .

ومن ذلك أيضاً تقديم "المال" على "البنون" في قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٧] ، يقول الشيخ صالح المغامسي: "البنون والمال كلاهما من زينة الدنيا باتفاق، لكن الله قدم المال؛ لأن المال تتعلق به نفس كل أحد بخلاف البنين فإنه لا يتعلق بهم قلب كل أحد، وأن الإنسان إذا كان كثير المال، ولا أبناء عنده فلا يقال عنه: إنه شقي، شقاوة دنيوية،

---

١ سورة الكهف، الآية، ٣٨.

٢ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص ٤٠٥.

٣ حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٦، ص ٣١٨٤.

٤ سورة الكهف، الآية، ٤٤.

٥ القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، **تفسير يحيى بن سلام**، تقديم وتحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١، ص ١٨٨.

٦ القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٠، ص ٤١١.

٧ سورة الكهف، الآية، ٤٦.

لكن من كان عنده كثرة أبناء، ولا مال له ففيه نوع من رقة الحال، وكثرة العيال، وشقاوة المرء في دنياه من حيث الجملة لا من حيث قضاء الله وقدره، فلهذا قدم الله –جل وعلا– المال، وإن كان حب الأبناء في النفس مقدم على حب المال، لكن هذا الذي من أجله قدم ذكر المال"[١] . ويقول عبد العظيم المطعني: "ولعل السر في تقديم الأموال على الأولاد: أن الإنسان يملك أموالاً قبل أن يكون له أولاد. وأن المال أكثر نفعاً للرجل من ولده. وأكثر شغلاً له"[٢] .

يقول شهاب الدين الألوسي: "وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه عند أكثر الناس لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد وغير ذلك.

وعمومه بالنسبة إلى الإفراد والأوقات فإنه زينة وممد لكل أحد من الآباء والبنين في كل وقت وحين وأما البنون فزينتهم وإمدادهم إنما يكون بالنسبة إلى من بلغ الأبوة ولأن المال مناط لبقاء النفس والبنون لبقاء النوع ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم ولأنه أقدم منهم في الوجود ولأنه زينة بدونهم من غير عكس فإن من له بنون بلا مال فهو في أضيق حال ونكال"[٣] .

ومن التقديم والتأخير أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٤]، وقوله: ﴿مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً﴾[٥] ، والحكمة في تقديم الصغيرة على الكبيرة هي أن يجعل في الصدارة نفي الأقوى لا الأضعف[٦] ، وهذا النوع من التقديم والتأخير هو من التنقل، وهو أنواع: إما من الأقرب إلى الأبعد، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ

---

١ المغامسي، صالح بن عوّاد بن صالح، **سلسلة محاسن التأويل**، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية، ج٢، ص ٤٧.

٢ خصائص التعبير القرآني لعبد العظيم المطعني، مصدر سابق، ج٢، ص١٤٧.

٣ شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ت١٢٧٠هـ/١٨٥٤م ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م، ج٨، ص٢٧١.

٤ سورة الكهف، الآية، ٤٩.

٥ سورة الكهف، الآية، ٤٩.

٦ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي ت ٧٩٤هـ/١٣٩٢م ، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط١، ١٣٧٦هـ، ١٩٥٧م، ج٣، ص٢٦٩.

تَتَّقُونَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاءَ بِنَاءً﴾[١] ، قدم ذكر المخاطبين على من قبلهم وقدم الأرض على السماء.

وإما بالعكس كقوله في أول الجاثية: ﴿إِنَّ فِى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآياتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ﴾[٢]. وإما من الأعلى كقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾[٣]، وإما من الأدنى كقوله: ﴿وَلا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً﴾[٤] .

فإذا كان المقصود هو جمع مخازي القوم وإحصاء ما اجترحوه من السيئات، فإن ذكر تسجيل الكبيرة، بعد ذكر الصغيرة، ليس فيه فائدة ظاهرة لأنه يُعلم أن الكتاب إذا عد الصغائر عليهم فلا بد أن يكون قد عد الكبائر من باب أولى.

ولو ذكر الكبيرة قبل الصغيرة، لجاء العطف أكثر فائدة، فإن المتلقي عندما يسمع: "هذا الكتاب لا يغادر كبيرة" لا يكون عنده علم بحال الصغيرة فلعل الكتاب قد تجاوزها أو لم يسجلها، فإذا سمع بعد ذلك "ولا صغيرة" استفاد.

وهنا قدم الصغيرة على الكبيرة لأن الكتاب قد أحاط بكل ما اقترفوه، فيستحسن ذكر الكبائر قبل الصغائر، لكن المقام للتبكيت والتعذيب في العرض، وقد نبهت الآية على هذا المعنى عندما قالت: "مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ" كما نبهت عليه من خلال صرخة الكفار من الضجر والخزي "يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ".

وهذا المقام يقتضي ذكر الصغيرة قبل الكبيرة لوجهين:

١. الصغائر عادة تكون أكثر من الكبائر فيشتد الإسهاب ويطول التقصي وهو مراد لتعذيب أصحابها.

---

١ سورة البقرة: الآية، ٢١.

٢ سورة الجاثية: الآية، ٣.

٣ آل عمران: الآية، ١٨.

٤ سورة التوبة: الآية، ١٢١.

٢. ذكر الصغائر على كثرتها سيزيد من التوتر على اعتبار أن هذه أهون مما سيأتي، ولو ذكر الكبائر أولاً لفات هذا المعنى، بل سيكون في ذلك شيء من التنفيس على المجرمين، فالمخازي تصعب أكثر عند ترقبها لا عند مرورها[١] .

ثانيا: الذكر والحذف:

الحذف لغة[٢]: هو حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً: قَطَعَه مِنْ طَرَفه، والحَجَّامُ يَحْذِفُ الشعْر، مِنْ ذَلِكَ، والحَذْفُ: الرَّمْيُ عَنْ جانِبٍ والضرْبُ عَنْ جَانِبٍ.

تَقُولُ: حَذَفَ يَحْذِفُ حَذْفاً. وحَذَفَه حَذْفاً: ضَرَبَهُ عَنْ جَانِبٍ أو رَماه عَنْهُ.

واصطلاحاً: هو إسقاط بعض العناصر من النص لغرض من الأغراض البيانية، مع وجود دليل على المحذوف[٣].

ذكر البلاغيون طائفة من دواعي الحذف موزعة في بحوث حذف المسند إليه، وحذف المسند، وحذف بعض متعلقات الفعل، ومن أهم هذه الدواعي ما يأتي[٤] :

١. الاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر، إذا كان ما يحذف يمكن أن يدركه ويفهمه المتلقي، دون أن يذكر في اللفظ.

٢. تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ.

٣. اختبار انتباه المتلقي أو مقدار فطنته، عند إمكان الاستغناء عن دلالة صريح اللفظ عن المراد[٥] .

٤. الإشعار بتمجيد المسمى عن طريق الإيهام بصون اسمه عن أن يبتذل بالذكر لجلالة قدره.

---

١ أبو عبد المعز، موقع أهل اللغة، http://www.ahlalloghah.com/showthread.php?t=١٦٣٦.

٢ ابن منظور، **لسان العرب**، ج٩، ص ٩٣.

٣ الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب ، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٢١٠-٢١١.

٤ حبنكة، عبد الرحمن بن حسن، **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م، ج١، ص ٣٣٧.

٥ حبنكة، **البلاغة العربية**، ج١، ص٣٣٧.

٥. الإشعار باحتقار المسمى وازدرائه وتنزيه اللسان عن ذكر اسمه، عن طريق الإيهام بأنه ينبغي صون اللسان عنه ،كما يصان عن ذكر ألفاظ الفحش وأسماء العورات[١] .

٦. صون اللسان حقيقة عن ذكر المحذوف والاكتفاء بدلالة القرائن.

٧. التمكن من إنكار المحذوف، عند الحاجة إلى هذا الإنكار، وادعاء قصد غيره.

٨. قصد التشويق بالإبهام، ليأتي البيان بعده شافياً حركة الشوق إلى المعرفة.

ويجري الحذف إما في الحرف أو الكلمة أو الجملة أو في شـــبه الجملة، وقد عددوا للحذف فوائد كثيرة منها:

التخفيف: كما في حذف حرف النداء، نحو قوله تعالى: ﴿يُوسُـــفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾[٢] ، ونون لم يك، ونون الجمع للمذكر الســـالم ومنه قراءة: ﴿وَالْمُقِيمِى الصَّـــلَاةِ﴾[٣] ، وياء: ﴿وَاللَّيْلِ إذا يَسْـــرِ﴾[٤] ، بحذف الياء وصلاً.

ومنها الاختصار وتقريب الفهم وتحصيل المعنى الكثير باللفظ اليسير والتقوية والتوكيد، كما في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ﴾[٥] ، فالخبر محذوف تقديره، فحق أو واجب لله خُمُسَه، وروى الجعفي عن أبي عمرو، فإن للهِ بالكسر. وتقويه قراءة النخعي: فلله خمسه. والمشهورة آكد وأثبت للإيجاب، كأنه قيل: فلا بد من ثبات الخمس فيه، لا سبيل إلى الإخلال به والتفريط فيه، من حيث إنه إذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات، كقولك: ثابت واجب حق لازم، وما أشبه ذلك، كان أقوى لإيجابه من النص على واحد[٦] .

---

١ حبنكة، **البلاغة العربية**، ج١، ص٣٣٧.

٢ سورة يوسف: الآية، ٢٩.

٣ سورة الحج: الآية، ٣٥.

٤ سورة الفجر: الآية، ٤.

٥ سورة الأنفال: الآية، ٤١.

٦ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، مصدر سابق، ج٢، ص٢٢١.

ومن الأمثلة عن حذف الحرف قوله تعالى: ﴿وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[١] ، أصله لم أكن، والغرض البلاغي في ذلك التخفيف كما هو واضح.

وحذف كلمة نحو قوله تعالى: ﴿ وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[٢] ، أي في سبيل الله، وقوله –جل وعلا–: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ﴾[٣] .

أو حذف جملة نحو قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤] ، أي كان الناس أمَّة مجتمعة على ملة واحدة ودين واحد فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين.

وأما عن حذف شبه الجملة فنجده في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[٥] ، أي إذا أردنا وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إمهالهم إلا قليل، أمرناهم "فَفَسَقُوا"، أي أمرناهم بالفسق ففعلوا، والأمر مجاز، ووجه المجاز أن الله صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة إلى المعاصي واتباع الشهوات[٦] .

وقد جاء في سورة الكهف آيات قُرئت بحذف بعض الحروف منها:

---

١ سورة مريم: الآية، ٢٠.

٢ سورة الحج: الآية، ٧٨.

٣ سورة الأعراف: الآية، ١٤٢.

٤ سورة البقرة: الآية، ٢١٣.

٥ سورة الإسراء: الآية، ١٦.

٦ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري، مصدر سابق، ج٢، ص٦٥٤.

قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوْ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[١] ، هنا في هذه الآية حذفت الألف في كلمة "باسط" لأن الكلب بسط يديه لا لشيء يناله بهذا البسط، إنما ليسع بفعله هذا من امتداد ودخول الحيوانات إلى داخل الكهف، وكذلك في قوله تعالى ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾[٢] ، وهنا حذفت الألف أيضا في "باسط كفيه" لعدم حصول المشركين من دعاء آلتهم على شيء أصلا، فشبه حالهم بهذا بحال عطشان هائم لا يدري ما يفعل، قد بسط كفيه من بعيد إلى الماء يبغي وصوله إلى فهمه وليس الماء ببالغ فمه أبد؛ لكونه جمادا لا يشعر بعطشه ولكونه مادة سائلة.

أما في قوله تعالى ﴿لَئِنْ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِى إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّى أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَـٰلَمِينَ﴾[٣].

فإن الألف في "باسط يدي" أثبتت لنفي بسط اليد التي تمتد إليه وتناله بالقتل.

وقد أشار أبو إسحق المراغيني في كتابه "دليل الحيران" مواطن حذف ألف في "باسط" في الآيات التي وردت فيها حيث قال[٤]:

و(باسِـــطٍ) في الْكَهْفِ والرَّعْدِ مَعاَ

ثُمَّ بهـا (القَهّـارُ) أيضـــاً وقَعـاَ

قال: أخبر عن أبي داود بحذف ألف: "وباسط"، في سورتي: "الكهف"، و"الرعد" ألف القهار في "الرعد" أيضاً. أما "باسط"، الواقع في "الكهف" فهو: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾[٥] .

---

١ سورة الكهف، الآية، ١٨.

٢ سورة الرعد، الآية، ١٤.

٣ سورة المائدة، الآية، ٢٨.

٤ المارغني، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان التونسي المالكي، **دليل الحيران على مورد الظمآن**، دار الحديث، القاهرة، ١٣٢٦هـ،١٩٠٨م، ج١، ص١٦٧. لم اعثر على تاريخ الطبع

٥ سورة الكهف، الآية، ١٨.

ومن أنواع الحذف الذي ورد في سورة الكهف حذف الاقتطاع، "وهو حذف بعض حروف الكلمة، إما لِحُبِّ الاستخفاف وإما لرعاية الفاصلة وإما لكثرة دورانه في الكلام، فيحذف استغناءً بما أُبْقِيَ عمّا أُلْقِيَ، لأمْنِ اللبسِ وكثرة وروده في أشعار العرب ومن ثَمَّ ذكر العلماء ورودهُ في القرآن الكريم"[١] . [٢].

ومن هذا النوع حذف همزة "أنا" في قوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾[٣] ، إذ الأصل "لكن أنا" حذفت همزة "أنا" تخفيفاً وأدغمت النون في النون؛ قال السَّمين: قوله: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾[٤] ، قرأ ابنُ عامر بإثباتِ الألفِ وَصْلاً ووَقْفاً، والباقون بحذفِها وصلاً وبإثباتها وقفاً. فالوَقْفُ وِفاقٌ. فمن قرأ بتشديد النون فالمعنى لكن أنا هو الله ربي فطرحت الهمزة على النون فتحركت بالفتح واجتمع حرفان من جنس واحد، فأُدغِمَت النون الأولى في الثانية، وحذفت الألف في الوصل لأنها تثبت في الوقف وتحذف في الوصل[٥] .

قال محمد المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي : (لَكِنَّا) كتبت فيما ذكر أبو عبيد بالألف في المصحف الذي يقال: هو مصحف عثمان. قال: وقرأها غير واحد مشددة على حذف الألف إذا وصلوا، وأصلها فيما أرى (لكن أنا) فالتقت النونان فأدغمتا؛ فإذا وصلت القراءة حذفت الألف، وثبتت في الوقف، وهذا كقولك: إن فعلت ذلك، فالألف محذوفة، فإذا سكت عليها قلت: أنا بإثبات الألف[٦] .

ومن أنواع الحذف أيضاً حذف الياء الزائدة التي هي ياء المتكلم، وهو يندرج تحت حذف الكلمة، وقد ورد هذا النوع في مواضع مختلفة من سورة الكهف، منها قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾[٧].

---

١ السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، ج٣، ص ٢٠٢.

٢ ذكر العلماء ورودهُ في القرآن الكريم، وأول من أفرده قسماً من أقسام إيجاز الحذف في القرآن الكريم هو الامام الزركشي، ضمن ذكره لأقسام الحذف في الكتاب العزيز إذ قال فيه: "الاقتطاع، وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي، كقوله: درس المنا بمتالع فأبان أي المنازل، ينظر الزركشي، **البرهان في علوم القرآن** ، ج٣، ص ١١٧.

٣ سورة الكهف، الآية، ٣٨.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣٨.

٥ الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ج٣، ص ٢٨٦.

٦ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي ت ٣٩٩هـ/١٠٠٩م ، **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ج٣، ص٦٣.

٧ سورة الكهف، الآية، ٣٩.

وقال أبو إسحاق المارغني في كتابه دليل الحيران على مورد الظمآن :

(تُرْدِينِ) (إنْ يُرِدْنِ) مَعْ (إن تَرَنِ)

واتَّـبِـعـونِ زُخـرُفٍ ومُـؤْمِـنِ

ذكر في هذا البيت من الكلم التي حذفت منها الياء الزائدة أربع كلمات، وهي: "تردين" في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدْتَ لَتُرْدِينِ﴾ [١] ، وكلمة "وإن يردن" في قوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِهِ ءالِهَةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّى شَفَـاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلاَ يُنقِذُونِ﴾ [٢]، و، وكلمة "واتبعون" في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيم﴾[٣]، وكلمة "وإن ترن" في سورة الكهف قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾[٤] ، قال ابن عطية: " واختلفت القراءة في حذف الياء من (تَرَنِ) وإثباتها فأثبتها ابن كثير وصلاً ووقفاً، وحذفها ابن عامر وعاصم وحمزة فيهما، وأثبتها نافع وأبو عمرو في الوصل فقط"[٥] .

ومن هذا النوع أيضاً، قول الله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾[٦] ، حيث حذفت الياء في كلمة "يهدين"، وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[٧] ، حيث حذفت الياء في "تعلمن"، وقد أشار أبو إسحاق المارغني إلى مواضع حذف الياء في الآيات القرآنية حيث قال:

ثُمَّ (تُـمِـدُّونَـنِ) مَـعْ (تَـتَّـبِـعَـنْ)

(يَهـدِيَنِ) فِي الْكَهْف مَعْ (تُعَلِّمَنْ)

---

١ سورة الصافات، الآية، ٥٦.

٢ سورة يس، الآية، ٢٣.

٣ سورة الزخرف، الآية، ٦١.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣٩.

٥ المحرر الوجيز لابن عطية، مصدر سابق، ج٣، ص٥١٨.

٦ سورة الكهف، الآية، ٢٤.

٧ سورة الكهف، الآية، ٦٦.

ذكر في هذا البيت من الكلم التي حذفت منها الياء الزائدة أربع كلمات، وهي: "تمدونن، وتتبعن، ويهدين في الكهف، وتعلمن". ثم قال: أما "يهدين" في "الكهف" في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَداً﴾[١] ، وكلمة "تعلمنِ" في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[٢] [٣].

قال ابن عطية الأندلسي: "وقرأ الجمهور "يهديني" بإثبات الياء، وهي قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو، وبحذف الياء قرأها ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي[٤] .

يقول فاضل السامرائي: "ومما حسّن الحذف في سورة الكهف، حذفه الياء من لفظ الهداية في موضع آخر من السورة، واجتزاؤه بالكسرة، وذلك هو قوله تعالى: ﴿مَن يَهْدِ الله فَهُوَ المهتد وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيّاً مُّرْشِداً﴾[٥] ، هذا علاوة على حذف الياء في مواطن أخرى متعددة في هذه السورة، وذلك نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالاً وَوَلَدًا﴾[٦] ، بحذف الياء من تريني. وقوله تعالى: ﴿فعسى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ﴾[٧] ، بحذف الياء من يؤتيني. وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[٨] ، بحذف الياء من تعلمني. وقوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[٩] ، بحذف الياء من نبغي [١٠] .

---

١ سورة الكهف، الآية، ٢٤.

٢ سورة الكهف، الآية، ٦٦.

٣ دليل الحيران على مورد الظمآن، مصدر سابق، ج١، ص٢١٤.

٤ المحرر الوجيز لابن عطية، مصدر سابق، ج٣، ص٥٠٩.

٥ سورة الكهف، الآية، ١٧.

٦ سورة الكهف، الآية، ٣٩.

٧ سورة الكهف، الآية، ٤٠.

٨ سورة الكهف، الآية، ٦٦.

٩ سورة الكهف، الآية، ٦٤.

١٠ السامرائي، **أسرار البيان في التعبير القرآني**، ج١، ص ٧١.

وهذا الباب أشار إليه علماء اللغة والنحو بحذف الكفاية، فلا يوجد سبب في قواعد النحو المعياري للحذف، حيث أشار الأخفش عن سبب الحذف من غير ناصب ولا جازم فقال: "عادة العرب أنها إذ عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه"[١].

وفي كلمة "يهدينِ، وترِنِ، ويؤتينِ" وعلى لسان موسى –عليه السلام– مع العبد الصالح: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً﴾[٢] ، فحذف الياء المتكررة في هذه الأمثلة، فإنه وإن كانت اللغة تجيز الحذف في هذا المقام إلا أن نفسية من نوع خاص تكمن وراء الخطاب، وهي النفس المؤمنة التي يظهر عليها علامات التواضع فلا تظهر تلك الياء إلا مع ذكر الله ﴿فَعَسَى رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا﴾[٣] ، فيشعر المؤمن بالعزة مع ذكر الله ومحبة في إظهار رابطته بالله[٤] .

ومن الحذف للأدوات كحرف الاستفهام وأداة النداء ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾[٥] ، فالأسلوب نداء من الفتية المؤمنين إلى الله الأحب إليهم والأقرب إلى قلوبهم؛ ولشعورهم بهذا القرب من الله لم يحتاجوا إلى أداة النداء، فالله أقرب إليهم من حبل الوريد. ولحذف الأداة غاية "ربما كان ذلك لأن الله سبحانه يريد أن يعتاد عباده مناجاته ونداءه بغير واسطة"[٦] ، في نداء الرب سبحانه وتعالى له خصوصية إذ هو "دلالة على التعظيم والتنزيه والثناء الحسن، فيزول معنى الأمر ويتمحض التعظيم والإجلال ويحمل على معنى الدعاء"[٧] .

ومن الحذف ما كان الحذف فيه لتناسب اللفظ مع المعنى والحالة النفسية في موقعين متماثلين يشكلان ظاهرة لفتت انتباه أغلب العلماء الذين تناولوا سورة الكهف بالتفسير والدراسة، وهذا ما نجده في قوله

---

١ الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج٣، ص ١٠٧.

٢ سورة الكهف، الآية، ٦٦.

٣ سورة الكهف، الآية، ٤٠.

٤ عبد الرحمن، مروان محمد سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ج١، ص ١٠٤-١٠٥.

٥ سورة الكهف، الآية، ١٠.

٦ العطية، مختار، **الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٢٧٧.

٧ مصطفى، محمود السيد حسن، **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط١، ١٤٠١هـ/١٩٨١، ص ٣٢٩.

تعالى: ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[١] ، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً﴾[٢] ، أما عدم الحذف في الآية الأولى، وحذف التاء في الآية الثانية؛ فلأن المقام في الآية الأولى مقام شرح وإيضاح وتبيين فلم يحذف من الفعل "تستطع"، أما في الآية الثانية من كلمة "تسطع" فهي في مقام مفارقة، ولم يتكلم بعدها الخضر بكلمة، وفارق موسى –عليه السلام– ، فاقتضى الحذف من الفعل "يسطع"[٣] .

يقول عودة الله القيسي: "إن موسى –عليه السلام– كان قبل أن يفسر له العبد الصالح أسباب ما قام به من أحداث غير قادر على الصبر، فكان نطق الكلمة الدالة على ذلك بكامل حروفها "تستطع، لتعبر تعبيرًا واضحاً عن حالته النفسية، وتكون صيغتها موازية لحالة عدم القدرة على الصبر، وأما بعد أن فسر له الرجل الصالح، أصبح موسى –عليه السلام– في حال قدرة على الصبر، فلم يعد ما يدعو إلى تأكيد المعنى الأول باللفظ "تستطع" بعد أن زال أثر المفاجأة عن موسى –عليه السلام–، فكان أقل لفظ وهي "تسطع" كافياً للتعبير عن الحال"[٤] .

وفي صيغة مماثلة في تكرار الكلمات وصيغ الحذف، وكل ذلك لغرض بلاغي تلحظ فيه غاية الفن والجمال، ما جاء في قوله تعالى في سورة الكهف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا قَالُواْ يَذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ فَأَعِينُونِى بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾[٥] ، وهذه الآية قالها ربنا في السَّدِّ الذي صنعه ذو القرنين من قطع الحديد والنحاس المُذاب. قال تعالى على لسان ذي القرنين: ﴿آتُونِى زُبَرَ الحديد حتى إذا ساوى بَيْنَ الصدفين قَالَ انفخوا حتى إذا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتونى أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً فَمَا اسطاعوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا

---

١ سورة الكهف، الآية، ٧٨.

٢ سورة الكهف، الآية، ٨٢.

٣ السامرائي، **أسرار البيان في التعبير القرآني**، ج١، ص ٦٥.

٤ القيسي، عودة الله، **سر الإعجاز في القرآن الكريم**، دار البشير، عمان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦، ج١، ص ٩٨.

٥ سورة الكهف، الآية، ٩٣=٩٧.

اســـتطاعوا لَهُ نَقْباً﴾[١] ، فالحذف في اســـطاعوا يعود إلى عدة مناحٍ منها التركيبية وأخرى التوافق المعنوي وكلها مجتمعة تشـــكل حلقة من حلقات الإعجاز القرآني وجماليات البناء الفني فيه، فالحذف خفف في اللفظ، فكان ذلك ملائما لطبيعة الفعل المتعلق به، فنقب الردم أصـــعب من أن يظهروه يتســـلقوه، ولذلك كان اللفظ الأثقل مع الفعل الأثقل والأخف مع الأخف.

والفعل "استطاعوا" تعدت إلى اسم وهو قوله "نقبا"، فخفف متعلقها، فاحتملت أن يتم لفظها، أما "اسطاعوا" –بحذف التاء– فقد جاء مكان مفعولها "أن، والفعل والفاعل والمفعول به، وهي أربعة أشياء فثقُل متعلقها، عندئذ جاز تخفيف لفظها[٢].

هذا من جانب والمفعول به مع الفعل اسطاعوا أي المخفف بالحذف يتشكل من المصدر المؤول أن يظهروه وهو طويل بالنسبة للمفعول به للفعل استطاعوا نقبا، ولذا كان الفعل المخفف بالحذف مع المفعول الذي يتسم بالطول، والفعل الذي جاء على أصله مع المفعول الذي يتسم بالقصر، فشكل هذا التنوع في الصياغة للفعل توازنًا بنيوياً[٣] .

يقول فاضل السامرائي: قال تعالى: فما اسطاعوا أن يظهروه أي: يصعدوا عليه، فحذف التاء، والأصل: استطاعوا، ثم قال: وما استطاعوا له نقباً بإبقاء التاء. وذلك أنه لما كان صعود السد الذي هو سبيكة من قطع الحديد والنحاس أيسرُ من نَقْبِهِ وأخف عملاً، خَفَّفَ الفعل للعمل الخفيف، فحذف التاء، فقال: فما اسطاعوا أن يظهروه وطَوَّلَ الفعلَ فجاء بأطول بناء له للعمل الثقيل الطويل فقال: وما استطاعوا له نقباً فحذف التاء في الصعود وجاء بها في النقب[٤] .

ومن الحذف للكلمة ما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٥] ، الفعل ينذر ينصـــب مفعولين، والتقدير: لينذر الكفار بأســـا شـــديدا، ولكن حذف أحدهما على أن المقصـــودين في الإنذار هم الكفار، ولكن لقلة شـــأنهم وهوانهم واســـتكراها لذكرهم حذف اللفظ الدال

---

١ سورة الكهف، الآية، ٩٦-٩٧.

٢ الاسكافي، الخطيب، **مرة التنزيل وغرة التأويل**،

٣ القيسي، **سر الإعجاز في القرآن الكريم**، ج١، ص ١٠٠.

٤ السامرائي، **أسرار البيان في التعبير القرآني**، ج١، ص ٧١.

٥ سورة الكهف، الآية، ٢.

عليهم، وعلى العكس، فإن مع التبشير ظهر المؤمنون، وفي موازنة جمالية تنجلي لنا معالمها وإشاراتها في المقارنة بين (بأساً شديداً) و (أن لهم أجراً حسناً)، فإن التلميح والأسلوب الإشاري يعطي متعة للتعبير، فلم يصرح بذكر النار والجنة بل بالإشارة إليهما بأوصاف تنم عنهما وهذا وإن لم يكن من الحذف فإنه مما يعمل الذهن في الوصول إلى المشار إليه وهذا ما يسمى إيحائية اللغة. ولحذف المُنَذر في هذه الآية فائدتان: الأولى أنه "بذلك يعم جميع أصناف المتمردين المخالفين في أي صورة من صور الخلاف والتمرد، والثانية أنه يعف عن ذكرهم ويترفع عن النطق بصفتهم تصونا وتنزهاً عنهم وإهمالاً وتحقيراً لهم"[١] .

والحذف للمفعول به على الرغم من شدة الحاجة إليه له خصوصية تتجلى؛ إذ كما ذكر الجرجاني "فإن الحاجة إليه أمس، وهو إلى ما نحن بصدده أخص، واللطائف فيه أكثر، ومما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر"، إن مما استكره لفظه فحذف ما في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[٢] ، فكذبا وصف لمحذوف وتقديره قولاً كذباً، ولأن قولهم منكر، والقول المنكر لا يستحق الذكر فحذف، فجاء وصف له ليدل عليه، ومثل ذلك يتكرر في قوله سبحانه وتعالى: ﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إذا شَطَطًا﴾[٣] ، أي لقد قلنا قولاً شططاً فحذف الموصوف وهو قولاً- أي أن يدعو غير الله استكراهاً لذكر الآلهة أو الإشارة إليها بلفظ[٤] .

وتكرر أسلوب الحذف في قوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٥] ، فقد تم الحذف في بئس الشراب والتقدير بئس الشراب ماء جهنم الذي كالمهل، فمن جانب دل السياق عليه ومن جانب آخر هو من الأمور المستكره ذكرها، وهذا ما نلاحظه في قوله تعالى:

---

١ المدني، الشيخ محمد محمد، القصص **الهادف كما نراه في سورة الكهف**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م، ص ٤٩.

٢ سورة الكهف، الآية، ٥.

٣ سورة الكهف، الآية، ١٤.

٤ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، ج١، ص ١٠٨.

٥ سورة الكهف، الآية، ٢٩.

﴿وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ فقد حذف فيه الفاعل للفعل ساءت وهي جهنم. فتكرر حذف جهنم، فشكل بذلك تكراراً له في النص لطائفه[١] .

ويتسع باب الحذف ليشمل جملة بذاتها، وهذا أدعى للبحث والكشف والتأمل، فمما كان الحذف فيه جملة تامة، في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ قُلْنَا إذا شَطَطًا﴾[٢] ، "وأصل التركيب اللغوي أنهم الفتية إذا قالوا أن هنالك إلها غير الله- وهذا ما لن يرضوا به- فكلامهم شطط وابتعاد عن الحق والحقيقة"[٣] ، فما رفضوه فعلاً وعلى أرض الواقع حذفوه أيضاً من كلامهم. والسر في حذف جملة في أسلوب الشرط "أنهما لما ارتبطت إحدى الجملتين بالأخرى حتى صارا جملة واحدة أوجب ذلك لها فضلاً وطولاً، فخفف بالحذف، خصوصاً مع الدلالة على ذلك"[٤] .

وأحداث قصة موسى -عليه السلام- مع العبد الصالح على طولها الظاهر فإنه فيها اختصار في الزمان والمكان والحدث. وكانت اللغة في النص تغني عن ذكر المحذوف منها في قوله سبحانه وتعالى: ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إذا رَكِبَا فِى السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾[٥] ، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إذا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾[٦] ، ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إذا أَتَيَا أهل قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أهلهَا فَأبوا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾[٧] ، فكانت العبارة التي تكررت فانطلقا حتى إذا ، فشكل التكرار اللغوي ظاهرة أسلوبية عملت على الربط بين أحداث القصة وتسلسلها، علمًا أن بين كل مرحلة وأخرى قد تمر أحداث، ولكن ليست في نفس الأهمية التي ينكشف فيها حبكة القصة ومغزاها[٨] .

---

١ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، ج١، ص١٠٩.

٢ سورة الكهف، الآية، ١٤.

٣ الجكني الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ج٣، ص ٢١٥.

٤ عامر، فتحي، **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٥هـ،/١٩٧٥م، ج١، ص ١٩٦.

٥ سورة الكهف، الآية، ٧١.

٦ سورة الكهف، الآية، ٧٤.

٧ سورة الكهف، الآية، ٧٧.

٨ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، ج١، ص ١١٣.

ومثل ذلك في قصة ذي القرنين في اختصار الزمان والمكان والحدث والتركيز على الأحداث المهمة الدالة على مغزى القصة. فشكل التركيب اللغوي المتكرر ظاهرة أسلوبية في القصتين المتتابعتين. فبين كل انتقال من حدث هام ذي مغزى وآخر فأتبع سببا يتبعه الحدث حتى إذا بلغ فيتم السرد للحدث مكتملا بحواریاته ومجرياته، وهناك أحداث أخرى ولكن لا تهم في السرد فتحذف فلا يشعر السامع بقطع للحدث عبر انتقاله المعتاد والمتوقع عبر اللغة المتكررة[١].

ومما سبق يتبين أن في الحذف اختصارا واقتصادا في الجملة مع القدرة على التبليغ بصورة سليمة، وصيانة الجملة من الترهل أو ما عُرف بالاحتراز من العبث، وتحقيق التناغم والإيقاع على أكثر من مستوى. أما المستوى المعنوي فقد توافق الحذف مع الحالة النفسية والطبيعة البشرية في إسقاط اللفظ الذي سقط معناه من النفس "وإثارة الفكر والحس بالتعويل على النفس في إدراك المعنى"[٢].

ثالثا: التعريف والتنكير:

لظاهرتي التعريف والتنكير حضور بارز في سورة الكهف، ولهما نشاط مميز في إبراز معاني سياقية، تكشف للمتأمل فيهما أبعادا جمالية قد لا تتحقق من خلال اللغة وقواعدها المعجمية والمعيارية. وهذان الأسلوبان لا يقتصران على العدول والتبادلية فيما بينهما، بل يتم ذلك فيما بين أنواع المعارف المتنوعة نفسها؛ طلبا لتحقيق انسجام وتلاؤم إيقاعي وبعد معنوي.

والتعريف والتنكير من الظواهر البلاغية الموجودة في القرآن الكريم والتي خص بعض البلاغيين الإشارة إليها في كتبهم والتمثيل لها من القرآن جانباً من دراستهم.

لم يغفل كثير من البلاغيين واللغويين العرب الإشارة إلى هذا الباب بل وأثبتوا بأنه باب من أبواب البلاغة داخل في نظم الكلام؛ وقد خصوه بالذكر والدراسة عندما تعرضوا لأحوال المسند والمسند إليه، وأفادوا بملاحظات بلاغية قيّمة في الدرس البلاغي، وذكروا فوائد جمّة للتعريف والتنكير في التعبير القرآني، وهي كما يلي:

---

١ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، ج١، ص١١٣.

٢ أبو موسى، محمد محمد، **خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، مكتبة وهبة، القاهرة، 1416هـ/١٩٩٦م،ص.١٦١.

أ- التعريف: ينطَلِقُ البلاغيون في تناولِهم للمعارفِ من مذهبِ جمهورِ النَّحويين، فالمعرفةُ عندهم ما دلَّ على شيءٍ بعينِهِ، وهي ستَّةُ أقسامٍ على المخْتارِ عند أغلبِ البلاغيين[١] ورتَبها عندهم بناء على مذْهبِ الجمهورِ، وهي: الضمائر، والعلَم، والإشارةُ، والموصولُ، والمعرفُ بالأداةِ، والمعرفُ بالإضافةِ، وهذه المعارف منها ما يتميز عن غيره بخصائص تجعل من السياق للنص الأدبي يختار نوعاً من هذه الأنواع على غيره "فإن لكل أداة من أدوات التعريف طعماً ومذاقاً يختلف عن الآخر والذي يحدد الاختلاف ثقل الكلمة، ومكانها، وقيمتها عند المخاطب"[٢] .

١. الضمير: اعتبر القدماء الضمير أعرف المعارف وخصوه بالصدارة في المباحث الاسمية[٣] وأفرد له المتأخرون فصولا أثناء كلامهم عن موضوع التماسك النصي و أدواته حيث تجسد فيه مفهوم الإحالة بأنواعها قبلية، بعدية، داخلية، خارجية، و مفهوم الربط الذي اعتبروه الوظيفة النصية الأولى للضمير[٤] .

و نكتفي في الحديث عن الضمائر المتصلة بالإشارة إلى كثرتها و تنوعها وبخاصة ضمائر الغيبة والخطاب اللذين أملتهما الطبيعة القصصية، و نخص بالمناقشة الضمائر العائدة على الذات الإلهية وعلى الرسول —صلى الله عليه وسلم- دون سواها.

٢.الضمائر العائدة على الذات الإلهية: بلغ عددها اثنين و ثمانين ضميراً منها ثلاثون ضميراً بصفة الإفراد ممثلاً في ضميري التكلم والغيبة، واثنان وخمسون بصفة الجمع ممثلاً في نون العظمة.

و إذا كان من مألوف التعبير القرآني استعمال الضمائر الثلاثة المذكورة في كلام الله تعالى عن نفسه[٥] فإن استقراء الاستعمالات المتقدمة يقود إلى أن استعمال الضمير "نحن" العائد على الله تعالى من أهم دلالاته التعبير عن العظمة والتفخيم، ولذلك - فيما نرى — علاقة خفية تتصل بما حوته السورة من أخبار

---

١ الزملكاني، كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم بن خلف الأنصاري، **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**، تحقيق: خديجة الحديثي، وأحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص ١٣٣.

٢ السلطان، منير، **بلاغة الكلمة والجملة**، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص ٣٧.

٣ ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م، ص ٩٤.

٤ الفقي، صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دارسة تطبيقية على السور المكية**، دار قباء، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م، ج١، ص ١٣-١٤.

٥ نحلة، محمود أحمد، **لغة القرآن في جزء عم**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠١هـ،/١٩٨١م، ص ٤٠٩.

غيبية كانت مناط اختلاف بين الناس على مر عصـــور كثيرة لم يســـتطيعوا فيها القطع بصـــحتها لدرجة اتخاذها وسـيلة لتعجيز النبي –صـلى الله عليه وسـلم- وامتحانه، فكان مناسـباً لها أن يتحدث الله عن نفسـه – وقد فصـل فيها بعلمه الواسع الذي ألهمه بعضـاً من خلقه كالرسـل والصـالحين – بضـمير العظمة وهو أهله[١] .

أما ضـمير الغيبة فإننا نرى أنه أشـرب معنى التعظيم بمجرد تعبيره عن الله الذي لا ينعت بالغياب كيف وهو الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، ونرى أن يشترك مع الضـمير "أنا" في التعبير عن الوحدانية والتفرد اللذين يختص بهما الله جل جلاله، و لذلك فإن الإفراد فيهما دليل تعظيم و تفخيم أيضاً.

٣.الضـمائر العائدة على الرسـول –صـلى الله عليه وسـلم-: و بلغ عددها نحو خمسـة وأربعين ضـميراً، منها ثمانية و ثلاثون ضـمير مخاطب، و الرسـول –صـلى الله عليه وسـلم- هو المخاطب الأول بالقرآن الكريم ومن خلاله بقية الناس ومن ذلك يســتمد ضــمير الخطاب تكثيفه، وســبع ضــمائر للمتكلم تضـمنت معنى التشـريف في إضـافتها إلى الله في مثل "ربي" ومعنى التخصـيص في مثل قوله ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَــرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَـٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا﴾ [٢] .

أما الضمائر المنفصلة فهي ثلاثة أنواع[٣] :

- ضمائر الرفع: ورد ضمير المتكلمين "نحن" مرة واحدة في قوله تعالى: نحن نقص عليك نبأهم بالحق وفيه معنى التعظيم الذي سبق الكلام عنه، والتدليل على أن ما يقصه الله هو الخبر اليقين فلا التفات لما يتداولونه من ظنون، وضمير المتكلم المفرد ثلاث مرات؛ الأولى في قول صاحب الجنتين: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾[٤] ، وعبر عن تكبره وازدهائه بنفسه، والثانية في قول صاحبه: ﴿إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ

---

١ مشري، عبد الناصر، **سورة الكهف دراسة دلالية**، رسالة ماجستير، تخصص: لسانيات اللغة العربية وتعليماتها، جامعة قاصدي مرباح بورقلة الجزائرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ٦٣.

٢ سورة الكهف، الآية، ١١٠.

٣ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص٦٤.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣٤.

مَالًا وَوَلَدًا﴾[١] ، وأفاد تواضعه وإيمانه عكس الأولى، والثالثة في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾[٢] ، ويعود على الرسول ﷺ ليعبر عن حقيقة الرسول الذي لا يختلف عن الناس في خلقه أو طبيعته، ولكن في اصطفائه و تكليفه.

أما بقية الضمائر وعددها عشرة فكلها تعبر عن الغائب مفرداً كان أم جماعة، ولذلك اتصال بخصوصية السورة من حيث كونها تتناول جانباً من الحياة الماضية أو الغيبية.

- ضمائر النصب المنفصلة: غائبة تماماً في النص.

- ضمير الشأن: في قوله تعالى حكاية عن الرجل المؤمن في قصة صاحب الجنتين: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّيٓ أَحَدًا﴾[٣] ، والأصل في الضمير –لكنا– أن يعود على متقدم لكن ضمير الشأن يشكل استثناء هذه القاعدة لذلك حظي باهتمام كبير لدى القدماء الذين اشتقوا تسميته من وظيفته لأنه يستعمل في مواضع التفخيم والتعظيم[٤] ، والمحدثين الذين يعتبرونه على قدر كبير من الأهمية في تحقيق التماسك النصي لأنه يمثل الإحالة البعدية[٥] .

ولم يخرج ضمير الشأن في هذه الآية عن المعنيين المذكورين، لأنه استعمل في أهم موضوع في الحياة ذلك أن الجدال بين الرجلين كان في شأن العقيدة و الإيمان بالله وبالبعث، كما أنه أسهم في تحقيق الربط لأنه أحال على لفظ الله المتأخر عليه، وذكره قبل لفظ الجلالة توطئة وتحضير للنفس كي تتلقاه بكثير من العناية والاهتمام[٦].

٢. **العلم**: هو "الاسم الذي يعين مسماه مطلقا أي بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة"[٧] .

---

١ سورة الكهف، الآية، ٣٩.

٢ سورة الكهف، الآية، ١١٠.

٣ سورة الكهف، الآية، ٣٨.

٤ ابن الصانع، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، **شرح المفصل للزمخشري**، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج٢، ص ٣٣٥.

٥إبراهيم، **علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق**، ج١، ص ٤٠.

٦ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية**، ص ٦٥.

٧ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج١، ص ١١٨.

و من الأعلام التي كان لتكثيفها دور في شـــحن الدلالة العامة للنص لفظ الجلالة "الله" الذي أضـــفى بحضوره الدائم عبر كامل مساحة النص شعوراً مستمراً بهيبة الله وجلال سلطانه الذي لف الوجود من لدن خلق آدم وقصـــة الســـجود إلى النفخ في الصـــور وحشـــر الخلائق بين يديه، أما بقية الأعلام فقد ارتبطت مجموعة منها كل بالقصـــة التي ورد فيها؛ كلفظ آدم وإبليس في قصـــة الســـجود، ولفظ موســـى –عليه السـلام– في قصـة موسـى مع العبد الصـالح، و لفظ ذي القرنين ويأجوج ومأجوج في قصـة ذي القرنين، وارتبطت مجموعة أخرى بمفهوم الجزاء بشـــقيه وهذه الألفاظ هي عدن في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾[١]، الفردوس، جهنم .

وهو استعمال ليس فيه خصوصية باستثناء ثنائية الخير والشر، أو الإيمان والكفر التي تظهر في مقابلة لفظ آدم –عليه السلام– بلفظ إبليس أو الشيطان، ومقابلة الملك الصالح ذي القرنين بيأجوج ومأجوج مصدر الشر والخراب، وكذا في مقابلة جزاء المسلمين، وعدن والفردوس بجزاء الكافرين جهنم. فيظهر بذلك كيف أسهمت هذه الأعلام في إبراز ثنائية الخير والشر، والإيمان والكفر، وهما في صراع دائم منذ خلق آدم –عليه السلام– وقد أبانت نهايات قصص السورة وأمثالها أن الغلبة الحقيقية للطرف المؤمن[٢] .

٣. **اسم الإشارة:** اسم الإشارة هو "ما وضع ليدل على مسمى محسوس مشار إليه، فإن استعمل في غير المحسوس كان استعمالاً مجازياً تنزيلاً للمعقول منزلة المحسوس"[٣] .

تواترت أسماء الإشارة في النص اثنتين و عشرين مرة ؛ منها ما كان لمحض الإشارة كما في قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾[٤] ، وقول صاحب الجنتين ﴿ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾[٥] ، إشارة إلى الجنة التي هو فيها.

---

١ سورة الكهف، الآية، ٣١.

٢ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية**، ص ٦٦.

٣ الحمد والزعبي، علي توفيق ويوسف، **المعجم الوافي في النحو العربي**، الدار الجماهيرية، ليبيا، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ج١، ص ١٦٢.

٤ سورة الكهف، الآية، ١٩.

٥ سورة الكهف، الآية، ٣٥.

ومنها ما يشير إلى حاضر في الذهن كقوله تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾[١] ، إشارة إلى القرآن وهو حاضر في أذهان المتلقين، وقوله –عزوجل– ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلۡنَا لِمَهۡلِكِهِم مَّوۡعِدًا﴾[٢] ، والإشارة إلى الأمم البائدة؛ و"العرب يعرفون ديار عاد وثمود ومدين، ويسمعون بقوم لوط وقوم فرعون، فكانت كالحاضر حين الإشارة"، وقول العبد الصالح: ﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيۡنِي وَبَيۡنِكَۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأۡوِيلِ مَا لَمۡ تَسۡتَطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرًا﴾[٣] ، والإشارة إلى ما أبداه موسى –عليه السلام– من اعتراض أخير على العبد الصالح عند إقامته الجدار وهو حاضر في ذهن كليهما[٤] .

ومنها ما تضمن معاني زائدة عن مدلول الإشارة نذكر منها:

١– التعبير عن البعد المعنوي بالبعد الحسي: تحقق هذا المعنى في مثل قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾[٥] ، حيث استعيرت إشارة المكان البعيد إلى الحالة العجيبة، ووجه الشبه بين بعد المكان وغرابة الحالة ندرة وقوعها[٦] وقد أدى لام البعد في اسم الإشارة دوراً أساسيا في إبراز الحالة النفسية التي كان عليها صاحب الجنتين بعد أن حلت الكارثة بجنتيه حيث كان في استعمال اللام تعبير عن الأسف والحسرة للذين تضمنهما أسلوب التمني قبله في قوله: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا﴾[٧] ، لأن التمني يتعلق بما يبعد أو يستحيل تحققه وقد اعتضد في أداء معنى البعد لام البعد وحرف الياء في أسلوب النداء حيث يعبر عن نداء البعيد في مقابل الهمزة المختصة بنداء القريب.

---

١ سورة الكهف، الآية، ٦.

٢ سورة الكهف، الآية، ٥٩.

٣ سورة الكهف، الآية، ٧٨.

٤ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية**، ص٦٦.

٥ سورة الكهف، الآية، ٤٤.

٦ بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م، ج١٥، ص ٣٢٩.

٧ سورة الكهف، الآية، ٤٢.

وقول موسى لفتاه: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا﴾[١] ، إشارة إلى فقد الحوت حيث كان هذا الحدث غاية يتطلع إليها موسى – –عليه السلام– – منذ عزمه على السفر وفي هذه اللام إشارة إلى أهمية الغاية التي ما كانت لتثنيه عنها أحقاب من السير.

٢–التمييز: نجد ذلك في قول الفتية : ﴿هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾[٤] ، وإذ لم يأتوا بالسلطان تبين فساد عقيدتهم فوجب تمييزهم لئلا يختلطوا بهم.

وفي قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾[٥] ، "اسم الإشارة لتمييز الكفار أكمل تمييز لئلا يلتبسوا بغيرهم"[٦] ، على نحو قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[٧] ، وقد سبق هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ نُنَبِّئُكُمۡ بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا﴾[٨] ، فكان في اسم الإشارة تحديد للأخسرين أعمالا وتعيينهم بأنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم ... ذلك أن التعبير باسم التفضيل يعني وجود تفاوت في الوصف بالخسارة، لأن قابلية التفاضل أو التفاوت شرط في صياغة اسم التفضيل، والتعبير "فلان خاسر" لا يستلزم وجود أكثر من واحد موصوف بالخسارة أما "فلان الأخسر" فيفرض وجود أكثر من واحد متصف بالخسارة، ومن هنا تجيء أهمية التمييز وبلاغة الوصف باستعمال اسم التفضيل ثم اسم

---

١ سورة الكهف، الآية، ٦٤.

٢ سورة الكهف، الآية، ١٥.

٣ ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج١٥، ص٢٧٤.

٤ سورة الكهف، الآية، ١٥.

٥ سورة الكهف، الآية، ١٠٥.

٦ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٦، ص ٤٧.

٧ سورة الأعراف، الآية، ١٥٧.

٨ سورة الكهف، الآية، ١٠٣.

الإشارة الذي يضع الكفار في أقصى غاية للخسارة ثم يشير إليهم لتنحصر صفة الخسارة فيهم دون غيرهم[١] .

٣-التنبيه إلى أهمية المشار إليه : ويظهر في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴾[٢] ، حيث "يحمل اسم الإشارة دلالة التنبيه على أن المشار إليهم أحرياء بما بعد اسم الإشارة من حكم بسبب ما أجري عليهم من الأوصاف"[٣] ، تماماً كما في قوله تعالى: ﴿أولئك لهم جنات عدن ..﴾ [٤] ، حيث نبه اسم الإشارة إلى أن المشار إليهم أحرياء بما بعد اسم الإشارة لأجل الأوصاف المذكورة قبله[٥] .

٤-تيسير الانتقال من كلام لآخر: قال تعالى: ﴿حَتَّى إذا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾[٦] ، وقد وقع اسم الإشارة في هذا التعبير بين الحدث والتعقيب عليه فكان بمثابة الفاصلة التي تؤذن بنهاية معنى والدخول في آخر، وقد شكل مع حرف الجر شبه جملة أو "جزء جملة جلب للانتقال من كلام إلى كلام فيكون فصل الخطاب كما يقال: هذا الأمر كذا ..."[٧] .

٥-الإيجاز: هي وظيفة تشبه وظيفة الضمير الذي يغنى استعماله عن تكرار ما يعود عليه، حيث كان حضور كثير من أسماء الإشارة بديلاً عن ذكر ما تشير إليه من كلام وصلاً للأحداث، و تلافياً للإخلال ببلاغة الإيجاز.

وقد وجدنا هذا المعنى محققاً في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾[٨] ، حيث أشار "ذلك" إلى كلام طويل هو ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إذا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ

---

١ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية**، ص ٦٧.

٢ سورة الكهف، الآية، ١٠٥.

٣ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٦، ص ٤٧.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣١.

٥ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج١٥، ص ٣١١.

٦ سورة الكهف، الآية، ٩٠-٩١.

٧ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج١٦، ص ٢٩.

٨ سورة الكهف، الآية، ١٧.

فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ﴾[١] ، وربما كانت الإشارة إلى قصة الفتية من بدايتها؛ فكان ذكره مغنياً عن إعادة هذا الكلام بحرفيته فضلاً عما فيه من إشارة إلى عظيم قدرة الله في ازورار الشمس عن الكهف بما يناسب المعجزة التي قدرها الله وما فيه –إن نحن وقفنا عليه عند التلاوة – من فرصة للتفكير في هذه المعجزة.

و قوله ﴿عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴾[٢] ، إشارة إلى كل ما تقدم من قصة أهل الكهف، وقول العبد الصالح إشارة إلى خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار ﴿ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾[٣]، فقد اختصرت كل هذه الأفعال في لفظ "ذلك"، وقوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾[٤] ، أي كما أنمناهم وكما بعثناهم أعثرنا عليهم. وقد حقق اسم الإشارة في كل هذه الآيات اختزالاً كبيراً للمادة اللغوية ووفر على السمع كثيراً مما كان سيلحقه من رتابة وملل لو أعيد ذكر كل مشار إليه[٥] .

---

١ سورة الكهف، الآية، ١٧.

٢ سورة الكهف، الآية، ٢٤.

٣ سورة الكهف، الآية، ٨٢.

٤ سورة الكهف، الآية، ٢١.

٥ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٦٨.

٤. الاسم الموصول:

هو "ما دل على معين بواسطة جملة اسمية أو فعلية، أو شبه جملة، أو صفة صريحة ل "ال"[١] ، وهو معدود من المعارف لأنه "موضوع على أن يستعمله المتكلم به في معلوم عند المخاطب بواسطة جملة الصلة"[٢].

والنص ثري بالأسماء الموصولة خاصها ومشتركها حيث بلغ عدد تواترها نيفاً وأربعين مرة بمراعاة الاختلافات بين المفسرين واللغويين في الاسم الموصول "ما"، وهو تكثيف يستمد علته –فيما نرى– من تعريف الاسم الموصول نفسه ذلك أن التعيين فيه يكون بواسطة جملة، وهو أمر يتيح مساحة أوسع للتعريف بما يسمح باجتلاب الصفات والخصائص التي تتصل بالاسم الموصول، فتشحن الموصولات عن طريق الصلات بجملة من المعاني ما كانت لتكون لو أن التعريف كان من غير طريق الجمل، وأهم المعاني التي ظهرت لنا من استعمالات الاسم الموصول هي[٣]:

أ– تعليل الإسناد الذي قبل الصلة أو بعدها:

من الأول قوله تعالى: ﴿ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ﴾[٤]، حيث كانت الصلة "يعملون الصالحات" سبباً في بشارة المؤمنين، وقوله: ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[٥]، لأن الإنذار مترتب عن جريمة دعوى الولد لله تعالى، ومن الثاني قوله: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[٦]، لأن إحباط العمل وعدم إقامة الوزن سببه فعل الصلة "كفروا"، وقوله ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[٧] ، لأن جنة الفردوس جزاء لمن اتصف بفعلي الإيمان والعمل الصالح وهما مضمون الصلة المتقدمة، وقد استعملت وظيفة التعريف التي تضمنتها

---

١ الحمد والزعبي، **المعجم الوافي في النحو العربي**، ج١، ص ٦١.

٢ ابن هشام، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، ج١، ص ١٠١.

٣ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٦٩.

٤ سورة الكهف، الآية، ٢.

٥ سورة الكهف، الآية، ٤.

٦ سورة الكهف، الآية، ١٠٥.

٧ سورة الكهف، الآية، ١٠٧.

الصلات في هذه الآيات في التذكير بصفات الموصول وأعماله تنصيصاً على أنها الموجبة لما قبلها أو بعدها من ثواب أو عقاب.

ب- التهكم و التوبيخ:

قال تعالى: ﴿ أَكَفَرْتَ بِالَّذِى خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾[١]، الخطاب لصاحب الجنتين من صاحبه المؤمن، وقد كان في مضمون الصلة "خلقك من تراب ..." تذكير للكافر بوضاعة أصله التي تفرض عليه التواضع وتبطل ما كان منه من تكبر، وأن الله الذي سواه رجلاً كاملاً بعد أن كان تراباً وضيعاً ونطفة حقيرة جدير بأن يعبد أكمل عبادة اعترافاً بفضل الإيجاد ووفاء لحق الألوهية، فكيف به وقد كفر به وأشرك به غيره، وقد أبان سلوك الكافر عن مخالفته العقل والمنطق من جهتين؛ مرة بتكبره، فاستلزم التذكير بأصله الوضيع الذي يتنافى مع ما أبدى من تكبر وغرور، ومرة بكفره بمن أوجده والعقل يقضي غير ذلك، فكان مضمون الصلة تهكما بسخافة هذا العقل و تحقيراً لصاحبه[٢].

ولا يخفى ما يفيده فعل الصلة من سخرية وتهكم لاذع لأن الزعم يتضمن معنى الكذب والافتراء، وكان التعبير سيفقد كثيراً من المعنى المقصود لو قيل "الشركاء المزعومون" لأن التعبير بالصلة أفاد تحديد فاعل "زعم"، وأتاح التعبير بالماضي الدلالة على التحقق التام بما لا يبقي مجالاً للتنكر أو الإفلات من هذه الفرية العظيمة؛ وكل ذلك من مستلزمات كمال التوبيخ حيث الحجة التي لا تترك شعاع أمل في النجاة[٣].

وقال كذلك: ﴿ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِى مِنْ دُونِى أَوْلِيَاءَ﴾[٤] ، وفيها إظهار مكان الإضمار حيث سبق ذكر الصلة في الآيتين اللتين قبل هذه الآية، وهما قوله تعالى: ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا﴾[٥] ، هنا في قوله ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ إظهار مكان الإضمار، حيث سبق ذكر الصلة مرتين

---

١ سورة الكهف، الآية، ٣٧.

٢ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص٦٩.

٣ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص٦٩.

٤ سورة الكهف، الآية، ١٠٢.

٥ سورة الكهف، الآية، ١٠٠-١٠٢.

قبلها في ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ وفي﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ فازدادوا تميزا في الصلة وما عطف عليه، وحق الآيتين الأولى والثانية قبلها أن يذكر الذين كفروا فيهما بالضمير دون التصريح لتقدم ذكرهم، وقد أفاد التصريح في الآية الأولى، وهي ﴿ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا﴾ تعليل الإسناد الذي سبق الصلة، أما في الآية ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ﴾ فإنه فضلاً عن إفادته استقلال الجملة بدلالتها، يضيف دلالة أخرى مؤداها الاهتمام بالكفر أكثر من الكافر لأن "التعبير بالفعل يشير إلى أهمية الحدث وأنه مدار الكلام"[١] ، وما كان التعبير بالفعل ممكناً دون استعمال الموصول، وتتجلى أهمية الحدث في كون التوبيخ الذي أفادته جملة الصلة متأتياً من اقتراف فعل الكفر فهو منصبّ على الفعل أكثر من الفاعل لأن الآية في سياق التهديد والوعيد، ومن دلالات التهديد رجاء ازدجار المخاطب وارعوائه، و الفعل متجدد مع فاعلين كثيرين ومن ثم تتسع مساحة الخطاب لتشمل أنواعاً من الفاعلين منهم من كان في حال الكفر وقت نزول الآية، ومنهم من تسول له نفسه الكفر أثناءها أو بعدها، ومن سيتلبس بالكفر في العصور المقبلة ... و دليل ذلك التعبير باسم الفاعل في الجزء الثاني من الآية ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا﴾[٢] ، لأن الذي تقرر دخوله جهنم مقطوع بكفره ولا أمل في اهتدائه و "التعبير بالاسم يشير إلى أهمية فاعل الحدث"[٣] .

ت- تحديد أحد الاختيارات:

ظهر في آيتين: أما الأولى فهي قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًاۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدا﴾[٤] ، وقد سبق التعبير بالموصول في الآية نفسها ﴿إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ﴾[٥]، وهي على احتمالات ثلاثة[٦] ، أحدها أن أهل المدينة اختلفوا فيما يصنعون بأهل الكهف بعد

---

١ داود، محمد محمد، **الصوائت والمعنى في العربية**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١، ص ٥٣.

٢ سورة الكهف، الآية، ١٠٢.

٣ داوود، **الصوائت والمعنى في العربية**، ج١، ص ٥٣.

٤ سورة الكهف، الآية، ٢١.

٥ سورة الكهف، الآية، ٢١.

٦ الزمخشري، **الكشاف** ، ج٢، ص ٣٨٤.

أن عثروا عليهم وكيف يخلدون حادثتهم، فأفاد فعل التنازع بصيغته الصرفية المقتضية للمشاركة تعدد الاقتراحات التي قد تتساوى أو تتباين من حيث الوجاهة وقابلية التنفيذ فكان في التعبير بالصلة "غلبوا على أمرهم" التي يعود الضمير فيها على أصحاب الكلمة والنفوذ[١] إشارة إلى أن مقترحهم هو الذي حظي بالقبول و التنفيذ والله أعلم[٢].

وأما الثانية فهي قول أحد الفتية ﴿فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا﴾[٣] ، حيث إن اسم التفضيل يعني وجود أنواع كثيرة فيكون الموصول لتحديد النوع الأزكى وهو الأطيب وليس الأكثر كما هو معنى الزكاة[٤] ، وأي "ما صدقه أي مكان من المدينة لأن المدينة كل له أجزاء كثيرة منها دكاكين الباعة"[٥] ، واستعمال الموصول يعني تحديد اختيار واحد فقط مما يتضمنه تعدد المصادق، و لما كان الأرجح في معنى الزكاة هو الطيبة على ما تقدم فإن لفظ "أي" يعكس حرص الفتية على الاحتياط في طلب الحلال من الطعام[٦] .

٥. **المعرّفة ذو الأداة:** للتعريف في العربية أداة وحيدة هي "أل" على خلاف بين النحاة في المعرف أهو اللام وحده أم اللام والهمزة، وهل الهمزة وصلية أم قطعية[٧] ، والذي يتصل بمجال دراستنا هو المعنى الذي يفيده التعريف بالأداة، وهو محدد في العهد أو الجنس أو الاستغراق[٨] .

ولقد كان للتعريف بالأداة في النص حضور مكثف حيث تجاوز عدد المعارف بالأداة المئة اسم، وقد أمكن تقسيم هذه الأسماء إلى ثلاث زمر؛ تمثل الأولى أسماء الذوات منها:

الملائكة، الجن، الناس، الإنسان، الفتية، الشيطان، الغلام ...، وتمثل الثانية أسماء المعاني.

---

١ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية،، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، ج٥، ص ١٣٣.

٢ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٧١.

٣ سورة الكهف، الآية، ١٩.

٤ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٥، ص ١٣٢، وينظر: قطب، **في ظلال القرآن**، ج٤، ص ٢٢٦٣.

٥ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج١٥، ص ٢٨٥.

٦ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٧١.

٧ **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، ج١، ص ١٧٧.

٨ ابن هشام، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، ج١، ص١١٢.

ومنها: الحمد، الحق، الباطل، الهدى، الرحمة ...، أما الثالثة فقد أفادت معيّنات زمانية؛ كالغداة والعشي والساعة، أو مكانية؛ كالسماوات والأرض والبحر والجبال والأنهار والمدينة والصخرة والجدار والوصيد واليمين والشمال... [١] .

وقد مكن هذا الثراء من الوقوف على أنواع التعريف الثلاثة:

أ- "ال" العهدية: العهد إما ذكري أو ذهني، نمثل ل "ال" العهدية في النص بقوله تعالى حكاية عن الفتية: ﴿فَأْوُوا إلى الْكَهْفِ﴾ [٢] ، حيث "يجوز أن يكون الكهف المقصود كهفاً كانوا يتعبدون فيه من قبل" [٣] ، فيكون العهد ذهنياً، وقوله: ﴿حَتَّى إذا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [٤] ، أي السفينة المعهودة وهو عهد ذهني كذلك، وقوله: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ﴾ [٥] ، أي الجبال المعروفة المعهودة.

أما العهد الذكري فأوضح ما يعبر عنه الآيات التالية:

- ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [٦] ، حيث تقدم ذكر السفينة في قوله: ﴿إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا﴾ [٧] .

- ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أبواهُ مُؤْمِنَيْنِ﴾ [٨] ، وقد تقدم ذكر الغلام نكرة في قوله: ﴿حَتَّى إذا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ...﴾ [٩] .

---

١ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٧٢.

٢ سورة الكهف، الآية، ١٦.

٣ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج١٥، ص ٢٧٧.

٤ سورة الكهف، الآية، ٧١.

٥ سورة الكهف، الآية، ٤٧.

٦ سورة الكهف، الآية، ٧٩.

٧ سورة الكهف، الآية، ٧١.

٨ سورة الكهف، الآية، ٨٠.

٩ سورة الكهف، الآية، ٧٤.

– ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ...﴾[١] ، وقد تقدم ذكره نكرة كذلك في قوله: ﴿فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ﴾ [٢]، وكل ذلك عهد ذكري.

ب– "ال" الجنسية: ويعبر عنها بالتي لبيان الماهية أو الحقيقة[٣].

منها قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾[٤] ، حيث أفاد لفظ الحمد جنسه كله أي الحمد كل الحمد، وقوله: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٥] ، حيث يعبر لفظ الإنسان عن البشر جميعا، وقوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي﴾[٦] ، أي البحر بالإطلاق دون إرادة بحر معين.

ت– "ال" الاستغراقية: والاستغراق على نوعين؛ إما استغراق حقيقة الأفراد أو استغراق صفات الأفراد.

من الأول قوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[٧] ، حيث يفيد التعريف في "الملائكة" استغراق كل الملائكة، فهم جميعاً مشمولون بالأمر بالسجود، ولذلك كان الاستثناء ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ﴾[٨] ، وهو مما يقوم به الدليل عند من يرى أن إبليس من الملائكة.

وقوله: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ﴾[٩] ، حيث يشمل لفظ (الناس) كل من بلغه القرآن.

وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا﴾[١٠] ، وهي أعم من لفظ "الناس" المتقدم حيث يشمل كل الناس دون تخصيص.

---

١ سورة الكهف، الآية، ٨٢.

٢ سورة الكهف، الآية، ٧٧.

٣ ابن هشام، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، ج١، ص ١١٣.

٤ سورة الكهف، الآية، ١.

٥ سورة الكهف، الآية، ٥٤.

٦ سورة الكهف، الآية، ١٠٩.

٧ سورة الكهف، الآية، ٥٠.

٨ سورة الكهف، الآية، ٥٠.

٩ سورة الكهف، الآية، ٥٤.

١٠ سورة الكهف، الآية، ٥٥.

أما النوع الثاني استغراق الصفات فمنه قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا...﴾ [١] ، فالنار معدة لكل من اتصف بصفة الظلم وهو مشمول في لفظ الظالمين بصرف النظر عن اسمه أو جنسه...، وقوله: ﴿وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾[٢] ، لأن المقصود بالباقيات الصالحات الأعمال الموصوفة بصفتي البقاء والصلاح.

ولئن كان التعريف بالأداة أحد أنواع المعرفة، فإن الذي وقفنا عليه من خلال هذا التحليل هو أن المحلّى بالأداة أقلّ المعارف تعيينا، وبخاصة إذا كانت الأداة استغراقية أو جنسية؛ لأن الأولى تتعلق إما بالجانب الكمي العددي كلفظ "الملائكة" في الشاهد السابق، أو الجانب الكيفي الوصفي كما في لفظ "الظالمين" المتقدم، ولا يكفي الكم وحده أو الكيف وحده في التعرف على كنه المسمى، والثانية أدخل في التنكير لأنها لا تعين جوهراً واحداً أو ذاتاً مفردة بل جنساً كاملاً بما فيه من تعدد، كما لفظ "الإنسان" أو "الجن" فيما تقدم، ومعلوم أن هذا التعريف دون التعيين بالجمل الذي تتيحه الأسماء الموصولة، أو التعيين الحسي الذي تتضمنه أسماء الإشارة أو ما في الضمير من الإشارة إلى التواطؤ بين المتكلم والمخاطب على ما يشار به إليه، أو ما في العلمية من كناية عن الشهرة تستمدها من التسمية المشتقة من الجبال لما فيها من شهرة بينة ظاهره[٣] .

٦. المضاف: "هو ما أضيف إلى واحد من المعارف المذكورة، و رتبته في التعريف كرتبة ما أضيف إليه"[٤].

ولأن التعريف متضمن بداهة في الإضافة فإننا نتجاوزه إلى ما وراءه من معان، وقد وقفنا في هذا الصدد على جملة من المعاني التي تضمنتها علاقة النسبة بين المضاف والمضاف إليه نذكر منها:

أ- التنويه و التشريف: نمثل له بالآيات التالية:

---

١ سورة الكهف، الآية، ٢٩.

٢ سورة الكهف، الآية، ٤٦.

٣ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٧٢.

٤ ابن هشام، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، ج١، ص ١١٦.

- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ﴾[١] .
- ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إذا نَسِيتَ﴾[٢] .
- ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾[٣] .

ونسبة الإضافة في هذه الآيات قائمة بين الله تعالى والرسول –صلى الله عليه وسلم– إلا أنها على صنفين؛ ففي الآية الأولى النسبة من المضاف إليه إلى المضاف على الأصل حيث تعرف لفظ "عبد" النكرة بإضافته إلى الضمير "هـ" العائد على لفظ الجلالة الذي سبق ذكره، وفي ذلك فوق التعريف تشريف حيث أضيف العبد إلى الخالق وانتظمهما لفظ واحد، وفي صيغة الإفراد من تمام التشريف والتمييز ما تقصر عنه العبارة "عبداً من عبادنا" التي تعود إلى الخضر –عليه السلام– و بين العبارتين من الفرق ما بين الرجلين من الفضل، و"ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– بوصف العبودية لله تقريب لمنزلته وتنويه به بما في إنزال الكتاب عليه من رفعة قدره، كما في قوله: ﴿تَبَارَكَ الَّذِى نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ﴾[٤] .[٥]

أما الآيتين الثانية والثالثة، فقد تحقق العدول فيهما في نسبة الإضافة حيث كانت من المضاف إلى المضاف إليه، لتعريف لفظ "رب" بإضافته إلى كاف الخطاب العائد على الرسول –صلى الله عليه وسلم– وفي ذلك من كمال الملاطفة ما لا يخفى[٦] .

---

١ سورة الكهف، الآية، ١.

٢ سورة الكهف، الآية، ٢٤.

٣ سورة الكهف، الآية، ٤٨.

٤ سورة الفرقان، الآية، ١.

٥ الألوسي، **روح المعاني** ، ج١٥، ص ٢٠٠.

٦ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ج١٥، ص ٢٤٧.

وفي قوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾[١] ، عدول عن الإضمار إلى الإظهار والتعريف بالإضافة "لتضمن الإضافة تنويها بشأن المضاف إليه بأن في هذا العرض و ما فيه من التهديد نصيبا من الانتصار للمخاطب إذ كذبوه حين أخبرهم و أنذرهم بالبعث"[٢] .

ب- التذكير: نمثل لهذا المعنى بقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[٣]، وفي هذه الآية كذلك عدول عن التعريف بالعلمية في اسم الجلالة إلى الإضافة إلى المخاطبين الذين يتضمنهم عموم الموصول "من" في الآية التي تليها ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ...﴾[٤] ، وفي هذا العدول تذكير لهم بأن الله الذي هو ربهم أحق بالتوحيد و العبادة، وإذا ما توصلوا بهذه الحقيقة و أدركوها تحملوا المسؤولية كاملة في تبني أحد الاختياريين المطروحين وهما الإيمان أو الكفر فيتحقق مفهوم العدل الإلهي في الجزاء الذي تضمنه التعبير اللاحق في الآية نفسها وفي التي تليها حيث قال جل شأنه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا...﴾ [٥] ، ثم قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ...﴾ [٦] ، فكانت هذه الإضافة تذكيراً أخيراً وتحميلاً للمسؤولية.

ت- التفظيع: قال تعالى في قصة السجود: ﴿...إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾[٧] ، و "الفسق في اللغة الخروج، يقال فسقت الرطبة إذا خرجت من أكمامها، وفسقت الفأرة إذا خرجت من جحرها"[٨] ، وقد عدل عن التعريف بلفظ الجلالة إلى إضافة لفظ "رب" إلى الضمير "ه" العائد على إبليس و النسبة فيه من المضاف إلى المضاف إليه لأن المطلوب ليس التعريف وإنما هو الإبانة عن عظيم الجرم الذي اقترفه إبليس بعدم السجود لمن هو أهله لأنه أمر ربّه وموجده وهذا المعنى لا يتحقق بالدرجة نفسها

---

١ سورة الكهف، الآية، ٤٨.

٢ ابن عاشور، **التحرير والتنوير للطاهر** ج١٥، ص ٣٣٦.

٣ سورة الكهف، الآية، ٢٩.

٤ سورة الكهف، الآية، ٢٨.

٥ سورة الكهف، الآية، ٢٩.

٦ سورة الكهف، الآية، ٣٠-٣١.

٧ سورة الكهف، الآية، ٥٠.

٨ ابن منظور، **لسان العرب** ج١٠، ص ٣٠٨.

لو كان التعريف بغير هذه الإضافة التي أفادت "تفظيع فسق الشيطان عن أمر ربه بأنه فسق عبد عن أمر من تجب عليه طاعته لأنه مالكه"[١] .

ث- القصر: تحقق هذا المعنى في قول العبد المؤمن خطابا لصاحبه الغني في قصة صاحب الجنتين: ﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾[٢] ، حيث أضيف لفظ "رب" إلى ضمير المتكلم "ي" مرتين لغير طلب التعريف فتعالى الله أن يعرف بواحد من خلقه ولكن لقصر صفة الربوبية على العبد المؤمن دون نظيره الكافر فكأنه قال ربي دونك أنت الذي عبدت غيره.

والذي نقف عليه من خلال هذه النماذج من علاقات الإضافة أن النسبة تكون من المضاف إلى المضاف إليه، وقد تكون من المضاف إليه إلى المضاف، وأنها في الحالتين تحمل زيادة عن التعريف.

ب- التنكير: هو دلالة النكرة في علاقة ضدية وتباين مع المعرفة، وتأتي النكرة لمعنيين أساسيين هما "النوع والإفراد"[٣]، وقد يفيد التنكير معاني بلاغية أخرى من خلال تفاعلها مع سياق الآيات، ما يدل على العموم والتكثير والتقليل والتهويل والتحقير:

١. ما دل على العموم: فالنكرة التي تدل على العموم كلمة عوجاً في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[٤] ، فشمل اللفظ كل أنواع العوج التي يمكن أن تتبادر إلى فكر الإنسان، فإن (عِوج) يمكن أن يكون في الأعراض أو الجواهر أو كليهما، ولذا كان التنكير دالاً على العموم شاملاً لكل أنواع العوج.

ومثله كلمة شيء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴾[٥] ، فكلمة شيء النكرة جمعت في لفظها كل أمر يعزم الإنسان فعله، سواء كان كبيرا عظيما أم صغيرا أو مما يستطيع الإنسان فعله أم مما لا يستطيع، فلا بد من ربطها بمشيئة الله تعالى.

---

١ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج١٥، ص ٣٤١.

٢ سورة الكهف، الآية، ٣٨.

٣ أبو موسى، محمد حسين ، **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ج١، ص ١٦٣.

٤ سورة الكهف، الآية، ١.

٥ سورة الكهف، الآية، ٢٣.

٢. التكثير: ومن النكرة التي تدل على التكثير كلمة سببا في سياق الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾[١] ، فالله تعالى أمدَّ ذا القرنين بكل أنواع القوة والتمكين، يعلم منها أشياء وقد تخفى أخرى، فجاءت كلمة سببا نكرة، فالأسباب متنوعة كثيرة ولا يعلم ماهيتها إلا الله.

٣. التحقير: ومما يدل على التحقير وتقليل الشأن لفظ كلمة في قوله تعالى في وصف كلام الكفار: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾[٢] ، فكلامهم عجيب غريب قليل الشأن عند الله ولذا كان التعبير عنه بالتنكير، وقد تناولت هذه الآية أكثر من جانب، وتمركزت الإجراءات في الأغلب عند كلمة ، فتشكل حولها انصباب أسلوبي لافت.

ومثل ذلك من التقليل في شأن الجدل لمجرد الجدل لا للوصول إلى الحقيقة في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٣] ، جاء التعبير عن الإنسان بأنه شيء "وذلك لكي يطامن الإنسان من كبريائه، ويقلل من غروره"[٤] ، إذا ما سولت له نفسه حب الجدل الذي لا طائل منه.

ومن قبيل التقليل من الشأن كان الحديث عن ملك في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٥] ، الملك الوارد ذكره كان جبارًا يسلب الناس حقوقهم، ومثل هذا يكون عند الله ضعيفا قليل الشأن، مهما علا سلطانه وتجبر.

٤. التوسع في الرحمة: فإذا كان التنكير يفيد التقليل في مواضع فإنه في أخرى يفيد التوسع في الرحمة كما في قوله تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾[٦] ، يفيد التكثير، فالكلمتان (رحمةً) و(علماً) نكرتان، وهما بالنسبة إلى رحمة الله الواسعة وعلمه الذي لا يحيط به أحد قليلان، ولكن القليل من الله رحمةً وعلماً كثير لأهل الدنيا.

---

١ سورة الكهف، الآية، ٨٤.

٢ سورة الكهف، الآية، ٥.

٣ سورة الكهف، الآية، ٥٤.

٤ سيد قطب، **في ظلال القرآن** ، ج٤، ص ٢٢٧٥.

٥ سورة الكهف، الآية، ٧٩.

٦ سورة الكهف، الآية، ٦٥.

وقد ساهمت النكرة في تشكيل عنصر المفاجأة في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إذا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ﴾[١] ، فلا علاقة سابقة لهم بالغلام ولا معرفة، ولذا كان قتله أمراً غريباً ومفاجئاً لموسى –عليه السلام–.

٥. التخويف والتهويل: ومن التهويل كلمة (موبقا) في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ مَوْبِقًا﴾[٢] ، لقد جاءت (موبقا) اسم نكرة، ما يزيد من هول هذا العذاب الذي سيلحق بالكافرين والمشركين في نار جهنم.

رابعا: الالتفات:

الالتفات هو أسلوب من الأساليب البلاغية الجميلة الفاعلة داخل النص، وقد عرفه أسامة بن منقذ في كتابه البديع بانصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر"[٣].

والالتفات يؤثر في السامع فيحثه على المتابعة والتفكير والربط بالعودة إلى أول التعبير ومحاولة الكشف عن أسرار التغير والانتقال من أسلوب إلى آخر، وبما أن الدراسة الأسلوبية تركز على ظواهر الانزياح والعدول فإن أسلوب الالتفات يكون في مقدمة هذه الأساليب؛ إذ تتمثل فيه ظاهرة العدول من أسلوب في الخطاب إلى أسلوب آخر محدثا معه مثيرا أسلوبيا يدعو للتأمل والدراسة واستجلاء ما فيه من فنية أدبية.

بما أن لكل نص أدبي خصوصيته ومن خلال لغته وتراكيبه تكون دراسته، فقد ظهرت أنماط من الالتفات ربما لم يشر إليها علماء البلاغة القدماء، كالانتقال من الإشارة إلى الغائب أي من الحضور إلى الغياب، ومن الجمع إلى المفرد[٤].

---

١ سورة الكهف، الآية، ٧٤.

٢ سورة الكهف، الآية، ٥٢.

٣ الشيزري، أبو المظفر مؤيد الدولة مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ، **البديع في نقد الشعر**، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة، ج١، ص٢٠٠.

٤ عبد الرحمن، مروان محمد سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ص ١٣٦.

ولقد تنوع أسلوب الالتفات في سورة الكهف ليضفي على البناء الفني عناصر جمالية ويثري النص في ملامح الشد والجذب والإثارة؛ ومن هذا التنوع:

أ- الالتفات من المخاطب إلى المتكلم:

من الالتفات قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[١] ، بدأ الخطاب في الآية بلفظ من ربكم ، وانتقل بعد ذلك إلى الخبر في ضمير المتكلم إنا ، وفي الحالتين الضمير عائد على الله، ويلاحظ تساوق الأسلوب في كلا الحالتين، فكانت البداية حرية تامة للبشر بين الإيمان والكفر والخطاب يوجه إليهم من ربكم ، ولكن لن يبقى الأمر متروكاً هكذا على إطلاقه، فلابد من نتيجة لذلك الاختيار فانتقل الأسلوب إلى الحضور المتكلم ، وبضمير الجمع إنا الذي يفيد التعظيم ليلفت الانتباه وليوقظ الغافلين، وإذ بهم يقفون بين يدي ربهم ليلاقوا جزاء ما اختاروا[٢] .

ومن الالتفات لتغير المكان أو بعض عناصر الصورة قوله تعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾[٣] ، انتقل أسلوب الإخبار من الخطاب عند ربك إلى المتكلم، ويوم نسير ، وحشرناهم فلم نغادر ، فربط الأسلوب بداية العبادة بلفظ ربك وتخصيص العبادة لله، وينتقل إلى مشهد من مشاهد القيامة وفيه تتجلى قدرة الله ويزيد من عظم وهول ذلك اليوم وما فيه ظهور القدرة الإلهية بضمير المتكلم ليكون أكثر حضوراً في النفس مما يشعر بالمهابة ومما يؤكد تلك المهابة تكرار ضمير المتكلم (نا)، فالانتقال من موضوع لآخر أو من شخصية لأخرى يقتضي خطاباً مناسباً يقرب البعيد أو يجلي الخفي.

---

١ سورة الكهف، الآية، ٢٩.

٢ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص١٣٦.

٣ سورة الكهف، الآية، ٤٦-٤٧.

وفي مشهد من مشاهد العبادة تدخل عناصر جديدة في الصورة ويتمثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[١] ، نلاحظ كيف بدأ الخطاب مع المؤمنين بأسلوب فيه تخفيف ويناسب طبيعتهم ربهم ، يريدون وجهه ، فهم يتوجهون إلى الله ويخافونه وأقل التفاتة تؤثر فيهم، أما الكفار فهم بحاجة إلى ما يردعهم ويزجرهم، وهذا ما نراه في التحول في أسلوب الخطاب، من ضمير الغياب إلى ضمير المتكلم وهذا أوقع في النفس وخاصة النفس الغافلة، فتنتبه بعد غفلتها[٢] .

وفي مشهد من مشاهد التصوير الفني في القرآن الكريم، يقوم أسلوب الالتفات بحركات سريعة ومفاجئة، تقرب البعيد وتوضح الغامض، ومثل ذلك في قوله تعالى:﴿ وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا﴾[٣] ، إن الانتقال في هذه الآية من أسلوب إلى آخر "انتقال من الوصف إلى الخطاب، هذا الالتفات يحيي المشهد ويجسمه كأنما هو حاضر اللحظة[٤] ، يرتبط مع الانتقال في طبيعة المشاهد يوم القيامة من حيث شدة الموقف والحركة التي يقوم بها البشر في ذلك الموقف العظيم. ومن جماليات التعبير وعرضوا على ربك ، علماً أن السياق يبرر أن يقول "على ربهم" إلا أن هذا التحديد للفت انتباههم إلى أن الرب الذي يعبده هذا النبي من سيكون العرض أمامه يوم القيامة وليس غيره[٥].

ب- الانتقال من المتكلم إلى الغائب:

ومن مشاهد السرد المتغيرة في القصة حسب المواقف والأحداث وطبيعة الشخصيات فتنتقل معها أساليب الخطاب، كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا﴾[٦] ، أسلوب

---

١ سورة الكهف، الآية، ٢٨.

٢ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٣٧.

٣ سورة الكهف، الآية، ٤٨.

٤ سيد قطب، **في ظلال القرآن** ، ج٤، ص ٢٢٧٤.

٥ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٣٧.

٦ سورة الكهف، الآية، ٦٤.

الخطاب انتقل من المتكلم إلى الغائب، الذي يسمع هذه الآية ويتأملها، فإنه يكون أمام مشهد متحرك فيه موسى –عليه السلام– وفتاه مقبلان، تنظر إليهم وتسمع كلامهم في لحظة حضور، فكان أسلوب الكلام للمتكلم والحضور، تنقلب تلك اللحظة مباشرة بعد أن وجدا الإشارة، فاستدارا ورجعا إلى الوراء فلم نعد نرى وجوههم، ولا نسمع كلامهم فأضحوا في حالة الغياب بالنسبة للمستمعين؛ ولذا كان التعبير عنهم بضمير الغائب هو الأدق في رسم المشهد.

وأثر الفاعلية في الحدث يظهر في قوله تعالى: ﴿ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إذا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إذا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾[١] ، بدأ الخطاب بأسلوب المتكلم (آتوني)، حيث الحضور البارز والفاعلية لذي القرنين في أحداث المشهد، فانتقل من أسلوب الخطاب إلى الغيبة عندما انشغل بالعمل حتى إذا ساوى ، قال انفخوا و بعد أن انتهى من العمل، عاد الحضور قال تعالى: ﴿قال آتوني أفرغ عليه قطرا﴾[٢] ، ليعود الأسلوب من حيث بدأ ويعيد القوة في الظهور، ومن هذا نرى ما يضفيه أسلوب الالتفات من جمال على النص وظلاله[٣] .

ت– الانتقال من الغائب إلى المتكلم:

من المستويات التي يظهرها الالتفات ما يمثل في الغياب والحضور، ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾، بأسلوب في منتهى الدقة يكون الانتقال وخاصة فيما يتعلق بالنفس الإنسانية، انتقل الأسلوب من الغائب فقال له صاحبه فالضمائر المتتابعة للغائب تنتقل إلى الحضور المتكلم في إحساس من التعاظم الذي أخذ يسيطر على نفس الكافر، فأخذ ينظر إلى نفسه تزهو ويتفاخر بها وبما أوتي من نعيم الدنيا، فأقبل من الغياب إلى الحضور.

---

١ سورة الكهف، الآية، ٩٥–٩٦.

٢ سورة الكهف، الآية، ٩٦.

٣ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٣٨.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣٤.

ومثله في الانتقال من مستوى لآخر في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾[١] ، تناسب في غاية الدقة، بين حالتين يمر بهما الذين كفروا، في الدنيا كانوا يظنون أن الله بعيد عنهم، فكان الأسلوب غياب بربهم ، فانتقل الأسلوب بعد لقائه إلى الحضور فلا نقيم، في موقف مهيب ومفاجئ ينتقل من حال الدنيا إلى مشهد يوم القيامة، فيشعر بقوة تسيطر عليه أحضر إليها ولا مناص له منها، وهذا ما يلاحظ وبشكل متكرر في مشاهد يوم القيامة الانتقال من أسلوب إلى آخر، ليماثل الانتقال من الحياة الدنيا إلى الآخرة[٢] .

ث- الانتقال من خطاب الجمع إلى المفرد:

إن المتأمل لحالة الانتقال من الجمع إلى المفرد يشعر بانتقاله من حالة اتساع إلى التمركز في التعبير أو التصوير، فيكشف بذلك جوانب قد تكون خفية مع الصورة المجملة ومن ذلك في قوله تعالى: ﴿قُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٣] ، فالخطاب بداية كان للجميع ربكم ، فالله رب الجميع، المؤمنين والكافرين، أما اختيار الإيمان والكفر فهو متعلق بكل واحد من البشر.

ومنه قوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾[٤] ، بداية كان الحديث عن الأعمال الصالحات، وهو بالطبع جمع، وذلك لحفز المؤمن على الإكثار منها فينتقل إلى المفرد أجر ، فالأعمال الصالحات لها أجور ولكن سياق النفي الذي خص القليل فإنه يشمل الكثير؛ فإذا كان عند الله القليل من الصالحات لا يضيع فلن يضيع لديه الكثير.

ومن باب الأدب في الخطاب والحديث ما تمثل على لسان فتى موسى في قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا﴾[٥]

---

١ سورة الكهف، الآية، ١٠٥.

٢ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٣٩.

٣ سورة الكهف، الآية، ٢٩.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣٠.

٥ سورة الكهف، الآية، ٦٣.

، فانتقل من الجمع أوينا إلى المفرد فإني نسيت ، علما أنهما كليهما قد نسيا، ولكنّ الفتى احتراما وتأدبا مع النبي موسى –عليه السلام– لم يشركه في فعل النسيان، ونذكر في هذا المقام خلق موسى وطيب معاملته للفتى فلم يقل ذلك ما كنت أبغي بل أشركه معه في الفعل[١] .

والخضر –عليه السلام– تمثل فيه الخلق نفسه من التأدب في الخطاب عندما قال: (فأردت أن أعيبها)[٢]، ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ﴾[٣] ، ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾[٤] ، فكان ضمير المتكلم مع الفعل الذي لا يليق بجلال الله، فنسبه إلى نفسه تأدبا مع الله، وفي الثانية حدث فعلان الأول القتل للغلام فكان الضمير الأول يعود على الخضر –عليه السلام– ، وأما الاستبدال بالخير فنسبه لله، وما كان من شأن الغيب فلله وحده والأمر إليه؛ ولذا قال فأراد ربك.

ومن الأمثلة التي جمعت غير نوع من الالتفات ما في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[٥] ، إذ تبدأ الآية بأسلوب المتكلم نحن الله، إلى الغائب بربهم إلى المتكلم وزدناهم ، فخصوصية علم اليقين لله تعالى فكان الضمير نحن الذي يفيد التعظيم ويضفي ظلالا على اختصاص الله تعالى بالعلم، والانتقال من "آمنوا بنا" حسب ما يمهد له الأسلوب السابق إلى "بربهم" وذلك لربط الإيمان بالرب، وهذا مما يقرب العبد إلى ربه ويحببه به، وذلك آكد للمعنى[٦] .

ج– الانتقال من الإشارة إلى الغائب:

وبما أن الإشارة في الغالب تعطي ملمح الحضور ففي قوله تعالى: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾[٧] ، تشتمل الآية على زمنين متعلقين بأمر واحد وهو الردم. زمن حاضر معاش يشار إليه باسم الإشارة القريب هذا، وزمن قادم لم يأت بعد بالنسبة لذي القرنين فلا زال

---

١ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٣٩.

٢ مصطفى، محمود السيد حسن ، **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ج١، ص ٣٤٦–٣٤٧.

٣ سورة الكهف، الآية، ٨١.

٤ سورة الكهف، الآية، ٨٢.

٥ سورة الكهف، الآية، ١٣.

٦ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٣٩.

٧ سورة الكهف، الآية، ٩٨.

غائبا، فأشار إليه بالغياب ضمير الغائب جعله، فالتناسب قائم بين الحضور والغياب بين اسم الإشارة وضمير الغائب[١] .

ومن أسرار الالتفات التي تلزم السامع في التفكير ما في قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴾[٢] ، في الآية نظام نحوي له سمة خاصة، فقد أخذ النحاة منها أنه يخبر عن (كلتا) بالمفرد، على أساس اللفظ وليس المعنى، وبناء على ذلك لا يتشكل أسلوب التفات، أما من نظر في العبارة بعمق وربط المعاني بالأسلوب الذي اختارته الآيات، حيث المشهد بين منظورين لشخصين مختلفين: الأول ينظر إلى نعم الدنيا بعين التعظيم، فيرى الشيء أكبر من حقيقته، ولذا يضل ويغوى بها وهذا حال الكافر، والثاني ينظر إليها بعين الزهد والرضا فيراها على حقيقتها وربما أقل من ذلك، فالانتقال من التثنية إلى المفرد هو انتقال بين حالتين نفسيتين وشخصيتين متمايزتين، الكافر من منظور والمؤمن الزاهد والمؤيد من الله من منظور آخر[٣] .

ح- الانتقال بين صيغ الأفعال:

الأفعال ذات طبيعة تصويرية، بحيث تنقل المشهد بأسلوب يتعايش مع الحدث، والتنوع في الأفعال أو الانتقال من صيغة إلى أخرى، فيلفت انتباه السامع، ويناسب مفردات المشهد في نظم قادر على تحليل الأبعاد النفسية، ومن ذلك ما يتمثل في قوله تعالى: ﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[٤] ، يلاحظ من خلال الترتيب لصيغ الأفعال (وضع ، فترى ، ووجدوا ، ولا يظلم ربك أحدا)، فالفعل الماضي الذي بدأ معه المشهد يدل على تمكن الحدث وحتمية وقوعه، يتبعه الفعل المضارع المتميز بقدرته على التصوير والتحليل العميق، فتتابعت الأفعال المضارعة فترى، ويقولون، لا يغادر، بالإضافة إلى اسم الفاعل مشفقين الذي كشف البعد النفسي لدى المجرمين. فيعود النظم إلى الفعل الماضي لتقف

---

١ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٤٠.

٢ سورة الكهف، الآية، ٣٣.

٣ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٤١.

٤ سورة الكهف، الآية، ٤٩.

الأحداث ويقف المجرمون أمام المفاجأة غير السارة لهم ووجدوا ما عملوا حاضرا ، وتختم الآية بحقيقة مستمرة ولا يظلم ربك أحدا ، فيعود الإنسان ليستريح مطمئنا إلى عدل ربه.

ومن أسلوب الالتفات القائم على صيغ الأفعال وتنقلها ما نجده قوله تعإلى : ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾[١] ، تسير الآية في نسق واحد من الأفعال تجري ، يحلون ، يلبسون ، والفعل من طبيعته التجدد والتغير، فانسجم كل ذلك مع المياه و النحلية واللباس ولكن ينتقل التعبير إلى الاسم ليضفي ملامح الثبات إذ يمكن أن يكون التعبير يتكئون حسب التتابع السياقي، فانتقل التعبير من الفعلية إلى الاسمية، فبعد كل هذه الحركة والتجدد يشعر المتلقي بالهدوء والاستقرار والثبات. ومما ذكر من أمثلة نتبين منها أن أسلوب الالتفات أسلوب عدولي فيه الخروج عن مقتضى الظاهر، الذي يهيئ له السياق وهذا الأسلوب "يعطي المتكلم أو الكاتب مجالا رحبا للتعبير عن الآراء بطرق مختلفة"[٢].

خامسا: الإفراد والجمع:

والمراد بالمفرد: ما لا يدل جزؤه على جزء معناه[٣]، والمراد بالجمع: صيغة مبنية من الواحد للدلالة على العدد الزائد على الإثنين[٤].

تشكل ظاهرة الإفراد والجمع في النص القرآني، في أغلب السور، ظاهرة أسلوبية تستدعي الوقوف عندها، والمتأمل فيها يجد طرافة ومعاني تجلل النص الأدبي تنكشف من خلال دراسته، وتتحقق من خلال الانسجام فيما بينها وبين النص الأدبي بشكل عام لطائف بلاغية.

من المتفق عليه اختلاف دلالة المفرد عن دلالة الجمع، ولكن النص القرآني ولحكمة يقتضيها الاستعمال بشكل يتناسب مع المعنى والمقام، تتبادل الصيغ فيما بينهما، فيستخدم الجمع والمشار إليه

---

١ سورة الكهف، الآية، ٣١.

٢ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٤٢.

٣ ابن هشام، **قطر الندى وبل الصدى** ، ص١١.

٤ الرماني، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن، **الحدود النحوية** ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤، ص٢٦.

الدلالة للمفرد، والعكس يكون مع المفرد، فيعدل عن الاستعمال الأصلي في اللغة إلى ما يقتضيه السياق، فيشكل عنصر لفت انتباه المتلقي إلى ما وراء السياق الظاهري إلى معاني المعاني[١] .

وقد يحتاج الدارس لمعرفة أسرار هذا العدول إلى الخبرة والمعرفة والدراية بأسرار اللغة "ومن هذا النوع ألفاظ يعدل عن استعمالها من غير دليل يقوم على العدول عنها، ولا يستفتى في ذلك إلا الذوق السليم"[٢].

وقد جاء المفرد في سورة الكهف ليدل على معان متعددة منها:

أ- حقيقة الإفراد: وخير ما يمثل لها لفظ الجلالة حيثُ كان لأن الإفراد فيه لفظاً ومعنى وأهم دلالاته التعبير عن التفرد والوحدانية في الذات الإلهية[٣] .

ب- التحقير:

إذا عد الكلام الكثير كلمة كما في قوله تعالى: ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾[٤] ، فإن كلامهم من سقط المتاع ما ذكر منه وما بقي، فالكلمة هنا تشمل عدة كلمات قالوها اتخذ الله ولدا ، فجاء التعبير عن الجمع بصيغة المفرد؛ تهوينًا وتحقيرا لشأن قائليها، وكأن كل كلامهم لا يعدل كلمة[٥] ، لأن "كلمة" بمعنى الكلام وهو كثير في اللغة ومنه كلمة التوحيد، كلمة الخطيب.

ت- نفي الجنس:

فالنفي أنواع، فمنه النفي للمفرد ليشمل الجمع، فنفي العوج في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾[٦] ، نفي جنس العوج عن القرآن الكريم، فنفي القليل المفرد نفي للكثير أيضاً.

---

١ عبد الرحمن، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٢٠.

٢ ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج١، ص ٢٤٧.

٣ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص٧٦.

٤ سورة الكهف، الآية، ٥.

٥ سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٢٠.

٦ سورة الكهف، الآية، ١.

ومن نفي الجنس ما يظهر في قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾[١] ، لقد بين الخلاف في استخدام كلمة (كلتا) على المعنى أم على اللفظ، واختلاف نحاة البصرة والكوفة لأن: "كلتا اسم مفرد اللفظ مثنى المعنى عند البصريين وأصله عند سيبويه كلوا"[٢]، ولكن من خلال البحث في هذه الآية وكما يظهر بأنها جنة واحدة ولكن لعظمها واتساعها تبدو عن الجهتين للناظر إليها وكأنها جنتان، ومما يؤكد ذلك قوله وهي خاوية على عروشها ، وكثيرة هي الإشارات الدالة على هذا التوجه، فإذا أخذنا بالرأي أنهما جنتان، فنفي الظلم عن واحدة يشمل الأخرى[٣] ، وأهم ما أفاده اللفظ هنا التناهي في الدقة أي الجنتين معاً آتتا أكلها دون نقصان كما تؤكد الجملة ﴿وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا﴾[٤] .

ث- اشتمال العدد والجنس مع ضبط الإيقاع: في قوله تعالى: ﴿ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾[٥] ، حيث يستوي في "الولد" الواحد والجمع والأنثى والذكر، وقد قال ابن إسحاق: "إن المقصود مشركو العرب في قولهم نحن نعبد الملائكة و هن بنات الله"[٦] .

وفي لفظ "ولدا" إيجاز بليغ لأن الله متنزه عن الولد والأولاد، وعن الإناث والذكور لم يلد ولم يولد وكل ذلك في لفظ الولد فضلاً عما فيه من ملاءمة إيقاعية حيث يناسب موقعه فاصلة، قال تعالى: ﴿وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾[٧]

في الآية الثالثة موقع "أبداً" من قوله تعالى: ﴿مكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا﴾[٨] فاصلة الآية الثالثة لتماثلهما مقطعياً، وتلك منطقة تقاطع بين الصرف والصوت في تأدية المعنى[٩] .

---

١ سورة الكهف، الآية، ٣٣.

٢ الألوسي، **روح المعاني** ، ج١٥، ص ٢٧٤.

٣ سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٢١.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣٣.

٥ سورة الكهف، الآية، ٤.

٦ ابن كثير، **تفسير القرآن الكريم** ، ج٤، ص ١٣٥.

٧ سورة الكهف، الآية، ٤.

٨ سورة الكهف، الآية، ٣.

٩ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٧٧.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾[١] ، لفظ "أحدا" مفرد دال على العموم لأن "أحدا "أحدا في معنى جميع الناس، على حكم النكرة في سياق شبه النهي"[٢] ، فالمحذور هو اطلاع أي من الناس بصرف النظر عن الجنس والعدد، والشأن نفسه وبشكل أعم في الآية الأخيرة ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٣]، حيث يمتد مشمول "أحدا" إلى كل معبود غير الله حياً كان أم جماداً.

ج- العدول عن الجمع للخفة:

وقد يكون ذكر المفرد في السياق ألين عبارة وأخف مسلكا وأدق تعبيرا كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾[٤] ، فكان الملك الظالم يأخذ السفن، ولكن لفظ سفينة المفرد في هذا السياق أخف من الجمع سُفن "فترك الجمع لثقله بتقارب مخارج حروفه وثقل تتابع الضمة"[٥] .

يعظم الله شأن المؤمن فيصبح كأنه أمة، ويقلل شأن جماعة لكفرها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[٦] ، إبليس وذريته وأعوانه أعداء للمؤمنين، اللفظ الدال عليهم جاء على صيغة المفرد علما أن عددهم كثير، فعدل عن صيغة الجمع إلى المفرد "وذلك ليلفت انتباه المسلمين إلى أن أعداء الحق مهما تعددت مذاهبهم يلتقون ويلتفون حول هدف واحد هو القضاء على الحق وأهله"[٧] ، وكذلك فإن أمرهم كشيء واحد قليل هين على الله.

ومن العدول عن الجمع من باب الخفة لفظا، والتقليل من شأن المضلين لفظ (عضد) في قوله تعالى: ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾[٨] ، السياق في

---

١ سورة الكهف، الآية، ١٩.

٢ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج١٥، ص ٢٨٦.

٣ سورة الكهف، الآية، ١١٠.

٤ سورة الكهف، الآية، ٧٩.

٥ الخضري، محمد الأمين ، **الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ**، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، ج١، ص ٨٥.

٦ سورة الكهف، الآية، ٥٠.

٧الخضري، **الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ**، ج١، ص ٦٣.

٨ سورة الكهف، الآية، ٥١.

هذه الآية كان عن المضلين فيقتضي التعبير بالجمع، ولكنه عدل عن الجمع إلى المفرد ليحقق بذلك لطائف بلاغية وصوتية مما يشكل وحدة انسجام، ويظهره حتى في الكلمة الواحدة من النص. فالمضلون على اختلاف توجهاتهم وكثرة عددهم فهم عند الله شأنهم قليل "فأفرد العضد في مقام الجمع تهوينا من شأن هؤلاء المضلين، فهم مخلوقون ضعفاء لم يشهدهم الله خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم، وكذلك ليلتقي التحقير بصيغة المفرد مع النفي وذلك أدل على حقارتهم"[١] ، ومن الناحية الصوتية فإن لفظ الجمع أعضادا فيه صعوبة وعدم انسجام، أما من حيث اللفظ فإن كلمة عضدا أخف على اللسان من أعضادا، ومحاولة اللفظ بها تبين مدى صعوبتها بالمقارنة مع اللفظ المفرد، والفاصلة وحسب التشكيل المقطعي والصوتي تكون مع المفرد أكثر ملاءمة من الجمع[٢] .

وتدل صيغة المفرد على تشابه الأمم السابقة في العذاب لتشابههم في الكفر، ويظهر مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أو يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا﴾[٣] ، لقد خص الله الأمم السابقة بعذاب يتناسب مع طبيعة الإثم الذي كانوا يرتكبونه، فالعذاب مختلف ولكن التعبير عنه جاء بالمفرد ليدل على أن القاعدة والميزان واحد، فعدل عن الجمع إلى المفرد؛ لبيان تلك القاعدة الواحدة التي لم تتغير قديما ولن تتغير لاحقا. ومثل ذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾[٤] ، الكافرون على اختلاف في بواعثهم ومذاهبهم فهم متماثلون في قلوبهم نتيجة ضلالهم، وكأنهم جميعًا قد غطي على عيونهم بغطاء واحد فهم متماثلون ولا يبصرون شيئاً.

ومما عدل فيه عن لفظ جمعه إلى المفرد السعي المتصف بالضلال في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾[٥] ، الأعمال التي يقوم بها الإنسان في حياته متعددة

---

١ الخضري، **الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ**، ج١، ص ٤٨.

٢ سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٢٢.

٣ سورة الكهف، الآية، ٥٥.

٤ سورة الكهف، الآية، ١٠١.

٥ سورة الكهف، الآية، ١٠٤.

متنوعة، وكذلك سعيه ولكن الكافرين أعمالهم تتوحد في المصير فتحبط أعمالهم، فلهوانها وقلة شأنها عادت شيئا واحدا في مصير واحد.

وعن تماثل الصورة وتوحد الجنس قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ﴾[١] ، الكتاب الذي تسجل فيه أعمال الخلق يخص كل إنسان كتابه، فيرى أعماله قد أحصيت له فيه ، فعدل عن الجمع إلى المفرد لأمرين، أحدهما التماثلية بين الكتب فكلها تتصف بالدقة والشمول في ضبط أعمال البشر، والجانب الآخر صوتياً؛ فلفظ المفرد أخف من الجمع ووضعت الكتب[٢].

ح- إفادة غير العدد والجنس: في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾[٣] ، حيث تباينت قراءات المفسرين لدلالة الإفراد في لفظ الجنة؛ فرأى الزمخشري أن الإفراد بعد التثنية لأنه "لا جنة له غيرها، ولا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون، فما ملكه في الدنيا هو جنته"[٤] ، ورأى الألوسي أن معناه "كل ما هو جنة له يتمتع بها بناء على أن الإضافة للاستغراق والعموم"[٥] ، ورأى ابن حبان أن الإفراد للترتيب أي أنه دخل جنة قبل جنة[٦] ، وإلى مثل هذا ذهب الطاهر بن عاشور[٧] .

والذي نراه أنه لا تعارض بين هذه الآراء إذ لا يمتنع أنه دخل جنة قبل جنة، وكلا الجنتين مما يتمتع به، وأنه لا حظ له في جنة الآخرة لكن الذي نؤكد عليه في هذا المقام هو أن الذي تشترك فيه كل هذه الآراء تجاوز الدلالة المعجمية والعددية إلى دلالات إضافية مؤداها تركيز المعنى في اللفظ الواحد وهو عين البلاغة والإعجاز[٨].

---

١ سورة الكهف، الآية، ٤٩.

٢ سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٢٣.

٣ سورة الكهف، الآية، ٣٥.

٤ الزمخشري، **الكشاف** ، ج٢، ص ٣٩٠.

٥ الألوسي، **روح المعاني** ، ج١٥، ص ٢٧٥.

٦ الألوسي، **روح المعاني** ، ج١٥، ص ٢٧٥.

٧ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج١٥، ص ٣٢٠.

٨ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٧٨.

خ- استغراق الجنس:

ومما أغنى مفرده عن ذكر جمعه لفظ البحر في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[١] ، فالمقصود بالبحر كل جنس البحار والمراد بالبحر الجنس[٢]، ومما يتعلق بالتصور الذهني والخبرات الخاصة بالبشر لعظم البحر واتساعه يجعل الكلمة البحر تكون ملء السمع والبصر.

ويفيد الجمع عدة معاني منها:

أ- التعظيم:

ويُعدَلُ عن المفرد إلى الجمع وهو كثير فيما يختص بالذات الإلهية؛ إذ تدل صيغة الجمع على التعظيم، وغالباً ما تكون على شكل ضمير المتكلم؛ ومن أمثلة التعبير عن عظمة الخالق ما يظهر في إيراد لفظ السماء جمعاً في ثلاث آيات هي:

﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ﴾[٣] .

﴿رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٤] .

﴿لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾[٥] .

حيث ارتبط لفظ "السماوات" جمعاً في المواطن الثلاثة بمعاني: الخلق في الآية الأولى ، والربوبية في الآية الثانية ، والغيب في الآية الثالثة ، وهي معان خاصة بالله تعالى، تعكس قدرته وعظمته تولّى الإبانة

---

١ سورة الكهف، الآية، ١٠٩.

٢ الزمخشري، **الكشاف** ، ج٢، ص ٥٠١.

٣ سورة الكهف، الآية، ٥١.

٤ سورة الكهف، الآية، ١٤.

٥ سورة الكهف، الآية، ٢٦.

عنها لفظ "السماوات" بصيغته الصرفية الدالة على الجمع تصويراً لعظمة السماوات، و تعبيراً عن عظمة خالق السماوات[١] .

ومن الأمثلة المتكررة في صيغة الجمع قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا القرآن لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾[٢] ، وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْقُرَى أهلكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾[٣]، فدلالة الجمع تضفي ظلالا من التعظيم والهيبة مع طبيعة الحدث الهلاك ، فتكرر الضمير ليزيد من هول الموقف والتصور[٤] .

ب- الاختصاص:

تجمع حول كلمة نحن في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾[٥] ، أكثر من ظاهرة لغوية أسلوبية، منها التقديم لضمير المتكلم الجمعي يدل على اختصاص الله بالعلم اليقين، مع ما يظلل العبارة من صفة التعظيم، هذا بالإضافة إلى البنية التحويلية في الجملة من الفعلية إلى الأسمية وما تشعر من سمة الثبات بعد ما ظهر من الاختصاص. ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا﴾[٦] ، وفي قوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ﴾[٧] ، الآيات السابقة متفقة باشتمالها على ضمير المتكلم الذي يعود على الله، والله واحد أحد لا شريك له في الملك مختص في ملكه وعلمه ومشيئته، ويتلازم مع هذا الضمير العائد ضمير دال على الجمع، مما يوحي ذلك التعظيم للذات الإلهية، والقدرة والتمكن، والاختصاص بالعلم والرحمة.

ت- التحسر والتنديم:

---

١ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٨٠.

٢ سورة الكهف، الآية، ٥٤.

٣ سورة الكهف، الآية، ٥٩.

٤ سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ، ص ٧٨.

٥ سورة الكهف، الآية، ١٣.

٦ سورة الكهف، الآية، ٧-٨.

٧ سورة الكهف، الآية، ١٨.

ما يسبب التحسر والتنديم يوم القيامة كثرة الأعمال المحبطة، فتتحول إلى أكوام بلا طائل أو أدنى فائدة أمام أعين أصحابها وهم في أشد حاجتهم إليها، وتظهر صورة ذلك في قوله تعالى :﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾[١] ، فالأخسرين فيه أكثر من جانب في العدول، ما بين صيغة الاشتقاق خاسرين أو أخسرين ولكن الصيغة المستخدمة أكثر إفادة للمبالغة والتأثير "فزيادة الأعمال لم تزدهم إلا التنديم والحسرة على كثرة الأعمال الضائعة، فلو جاء على الأصل للتمييز لكان الأخسرين عملا"[٢] ، فلا تشكل مع المفرد مثيرًا بل تكون أقل تأثيراً[٣] .

ث- دقة التصوير:

ويقوم اللفظ بدور في بعث جوانب الصورة في دلالته وتعدده ومنه في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾[٤] ، الريح في اللغة على الأغلب فيها العذاب والرياح فيها رحمة، أما هنا فإن الرياح خرجت عن أصلها في اللغة وعن الكثرة الغالبة في الاستعمال إلى معنى آخر، فيه الألم الذي يتحقق من حركة الرياح، التي تهب عليهم من كل صوب واتجاه فلا يستطيعون معها جمعا لثمرهم، ولا يتوقعونها من أي اتجاه تأتي؛ لكثرتها واختلافها عليهم، كما يشعر التعدد في الصورة أحيانا بالتوسع مما يحدث عنصر المفاجأة من خلال انتقال ألفاظها بين صيغ المفرد والجمع.

ج- التنوع: في قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾[٥] ، "أساور جمع سوار على غير قياس، و قيل أصله جمع أسورة الذي هو جمع سوار، فصيغة جمع الجمع للإشارة إلى اختلاف أشكال ما يحلون به منها، فإن الحلية تكون مرصعة بأنواع من اليواقيت"[٦] ، فتكون صيغة الجمع قد أفادت معنى التعدد

---

١ سورة الكهف، الآية، ١٠٣.

٢ الخضري، **الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ**، ج١، ص ١٣٢.

٣ سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٢٤.

٤ سورة الكهف، الآية، ٤٥.

٥ سورة الكهف، الآية، ٣١.

٦ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج١٥، ص ٣١٢.

المتضمن أصلا في الدلالة العددية لها لكن بحصره في الكثرة دون القلة لأن الجمع يبدأ من الثلاثة، و زيادة على ذلك أفادت الصيغة التعبير عن اختلاف أشكال و أنواع الحلي.

وفي قوله: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ﴾[١] ، دلالة الجمع في "ثمر" التنويع أي" أنواع من المال "[٢] ، ورأى الطاهر بن عاشور أن الجمع في "ثمر" معناه المال الكثير المختلف من النقدين والأنعام والجنات والمزارع وهو من قولهم: ثمر الله ماله إذا كثر؛ وقالوا إنه جمع ثمار الذي هو جمع ثمر مثل كتب جمع كتاب، فيكون دالاً على أنواع كثيرة مما تنتجه الأرض من المكاسب، تماماً مثل لفظ أساور المتقدم، والمعنى: وكان لصاحب الجنتين مال أي غير الجنتين[٣] ، فيكون الجمع "ثمر" دالاً كذلك على التعدد والتنوع في المعدود[٤] .

- دلالة جمع القلة وجمع الكثرة:

أما جمع القلة وجمع الكثرة فإن في صياغتهما ودلالتهما اللغوية ما يقتضي الاستعمال في بعض الأحيان أو العدول عن صيغة إلى أخرى حسبما يقتضي الحال في أحيان أخرى، فجمع القلة يدل على العدد من الجمع لا يزيد عن تسعة، فإن زاد فهو للكثرة، وقد استدل بعض علماء التفسير على العدد الذي كان مبهما بصيغة الجمع المستعملة في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾[٥] ، والفتية جمع قلة، أي لا يزيد عن تسعة، وهذا ما أكده النص وعلماء التفسير، بأن العدد لم يتجاوز الثمانية، فالتعبير لم يشر صراحة إلى العدد بل ألمح إليه من خلال الصيغة المستعملة، وكان التعبير تلميحا متوافقا مع أسلوب القرآن في سورة الكهف، حيث التركيز على جوهر الحدث، وهذا مما يؤكد أن لغة القرآن الكريم لغة أدبية جمالية بالإضافة إلى الدقة في نقل الحقيقة ورصد الواقع[٦] .

---

١ سورة الكهف، الآية، ٣٤.

٢ الزمخشري ، **الكشاف** ، ج٢، ص ٣٩٠.

٣ ابن عاشور، **التحرير والتنوير** ، ج١٥، ص ٣١٨-٣١٩.

٤ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٨٠.

٥ سورة الكهف، الآية، ١٣.

٦ سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٢٥.

ومن التعبير في جمع القلة ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾[١] ، فالكلمات جمع قلة، والكلام جمع كثرة، فإذا كان التبديل مستحيلا للقليل فإن ذلك أولى أن يستحيل مع الكثير، ومع صيغة كلماته يظهر أن النفي للتبديل قد وقع على كل كلمة منفردة مستقلة، وهذا أظهر وأبلغ في الوصف؛ إذ مع الكلام الكثير قد يتغيب بعضه في الكثرة الغالبة[٢] .

١ سورة الكهف، الآية، ٢٧.

٢ سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف** ، ص ١٢٥.

سادسا: التذكير والتأنيث:

الاسم إما مذكر أو مؤنث، و قد قادنا تتبع استعمال الجنس في النص إلى الوقوف على هيمنة صيغة المذكر حيث نجد أغلب الكلمات المحورية في جميع أجزاء السورة بصيغة المذكر؛ ففي المقدمة: عبده، الكتاب، عوجا، قيما، ولدا ...، وفي قصة أصحاب الكهف: الفتية، أصحاب، الكهف، الرقيم، الحزبين، أحدا ...، وفي مثل صاحب الجنتين: رجلين، صاحبه، أحدهما، هو، دخل، كفرت، قلت ...، وفي مثل الحياة الدنيا: ماء، المال، البنون، الكتاب ...، وفي قصة السجود: آدم، إبليس، وفي قصة موسى –عليه السلام–: موسى، فتاه، عبدا، الحوت، الشيطان، البحر، الغلام، وفي قصة ذي القرنين: ذو القرنين، مطلع، مغرب، موعد، سببا ...، وفي الخاتمة: الصور، البحر، يرجو، يشرك... وزيادة على ذلك فإن ضمير الخطاب الذي عم أغلب النص كان مذكراً كذلك[١]

و هذه الصبغة الذكرية تستمد وجودها فيما نرى من أمرين:

الأول: اشتمال المذكر على المؤنث ضمناً وهي إحدى خصائص اللسان العربي.

الثاني: دلالة الجنس المذكر على مفهوم القوة واشتماله على معاني الصبر والتحمل والثبات وهي في مجملها من الأسس التي تقوم عليها العقيدة، والسورة موضوعها الأساسي تصحيح العقيدة، وتقويم أسسها؛ وقد ناب الرجل المرأة في تحمل رسالات السماء وتولى شؤون الملك ومكابدة مشاق الحياة، وهي المعاني التي جسدتها شخصيات الرسل والصالحين الذين اشتملتهم قصص السورة وأمثالها، وفي ذكر آدم بوصفه أصل النوع كفاية عن تفصيل الجنس والعدد[٢] .

وقد استوقفنا قوله تعالى: ﴿وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ﴾[٣] ، حيث عدل التعبير عن نسبة الضمير إلى ظاهر اللفظ المؤنث بأن يقال "فئة تنصره" إلى نسبته إلى حقيقة اللفظ؛ إذ معنى "الفئة هنا العشيرة والولد"[٤]،

---

١ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٨٢.

٢ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٨٠.

٣ سورة الكهف، الآية، ٤٣.

٤ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم** ، ج٤، ص ١٥٠.

وقد حقق هذا العدول تحاشي ما في التأنيث و الإفراد من ضعف ينبو به المكان إلى ما في الجمع والتذكير من قوة يلح عليها المقام.

وبالمقابل كان العدول عن المذكر إلى المؤنث في لفظ "الويل" من قوله تعالى :﴿ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا...﴾[١]، حيث دلت "الويلة" مؤنث الويل – و هو سوء الحال والهلاك – عن المبالغة، وإنا لنجد في الثقافة العربية اقتران لفظ "الأم" المؤنث بحالات الفزع، ومن ذلك قولهم "ويلمه" وكأن الحالة الموصوفة تضع المرء في ضعف وعجز عن دفع المكروه أشبه ما تكون بحال الصبي الذي لا يقوى على حماية نفسه، ومن دلالات التأنيث في السورة كذلك ما حمله لفظ الصالحات الذي تكرر أربع مرات 25، حيث حل لفظ "الصالحات" بصيغته المؤنثة محل موصوفه "الأعمال " –و هو مذكر– ليعبر بجنسه الأنثوي عما في الأعمال الصالحة من نماء و كثرة، وازدياد وبركة؛ والأنثى رمز الخصب والعطاء[٢] .

كما تميز لفظ "الجنة" المؤنث الذي تكرر بين الإفراد والتثنية والجمع سبع مرات بدلالاته على عطاء الله في الدنيا والآخرة حيث عبر بصيغة الإفراد والتثنية عن عطاء الله في الدنيا في قوله: ﴿وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ﴾[٣] ، وقوله: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا﴾[٤] ، وقوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ﴾[٦] ، وقوله: ﴿فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ﴾[٧] ، وبصيغة الجمع عن عطاء الآخرة في قوله: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ...﴾[٨] ، وقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

---

١ سورة الكهف، الآية، ٤٩.

٢ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٨٣.

٣ سورة الكهف، الآية، ٣٢.

٤ سورة الكهف، الآية، ٣٣.

٥ سورة الكهف، الآية، ٣٥.

٦ سورة الكهف، الآية، ٣٩.

٧ سورة الكهف، الآية، ٤٠.

٨ سورة الكهف، الآية، ٣١.

الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[١] ، وقد أشارت صيغة الإفراد والتثنية إلى محدودية العطاء الدنيوي، فيما دلت صيغة الجمع على مطلقية العطاء الأخروي[٢] .

١ سورة الكهف، الآية، ١٠٧.

٢ مشري، **سورة الكهف دراسة دلالية** ، ص ٨٣.

الخـاتمة

إن أوجه القراءات عبارة عن أوجه مختلفة في الأداء، وهذا الاختلاف هو اختلاف تنوع لا تضـــاد وتناقض، ينتج عنه إعجاز عقدي أو تشريعي أو بلاغي أو غير ذلك مما يدل دلالة واضحة على أن القرآن الكريم كلام الله الذي ﴿لـا يَـأْتِيـهِ ٱلْبَـٰطِـلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيل مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيد﴾ ، ﴿أَ فَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفا كَثِيرا ﴾ .

والاختلاف في القراءات ســنة متّبعة، لأن تلاوة الرســول –صــلى الله عليه وســلم– التي تلقاها عنه الصـحابة رضـي الله عنهم إلى أن وصـلت إلينا؛ كانت بحروف شـتى، ونشـأت القراءات المتواترة من هذه الحروف في عهد التابعين رضـــي الله عنهم، المنضـــبطة بشـــروط التواتر التي أقرها العلماء رحمهم الله، والمنقولة إلينا بالتواتر.

واختلفت القراءات القرآنية من حيث البناء اللفظي إعراباً وبناء ولزوماً وتعدية، فتأتي قراءة بلفظ البناء وهو معرب في قراءة العامة أو بالعكس، أو يُقرأ الفعل متعدياً وهو في الأصـل لازم أو يتعدى بحرف تعدية وهو في الأصل متعدٍّ بغيره وهلم جرا.

والأداء القرآني البلاغي يعمل على تحقيق غاية مهمة، وهي كشـف الدلالات المقصـودة للنصـوص القرآنية، لتتجلى للسامع لإحداث التأثير لديه.

والهدف من ظاهرة التقديم والتأخير، هو الاهتمام بالمخاطب والمرســـل إليه، وما يريد المرســـل أن يخبره به، بناء على ما يعتقده تجاه المتلقي، فيعمد إلى ترتيب المفردات لغرض مخصوص.

والذكر والحذف للكلمات والحروف في القرآن لا يعني أن الحذف هو في مضـــمون القرآن، بل في تركيب اللغة، فاللغة تجعل للجملة العربية أنماطاً تركيبية معينة فإذا لم تشـتمل على بعض هذه التراكيب عُد ذلك حذفاً، فقد يذكر الحرف في كلمة في موطن ما، ويحذف هذا الحرف من الكلمة نفســها في موطن آخر، وتذكر الكلمة في موطن ما وتحذف في موطن آخر مع اقتضـــاء ذكرها، وذكرها وحذفها ليس عشوائياً وإنما لحكمة قد نعلمها وقد لا نعلمها، وقد نعلم جزءاً منها.

عدَّ البلاغيون الالتفات من علم البديع، وهذا يعني أنه تزيين أسلوبي وعده السكاكي من علم المعاني وهو أقرب إلى حقيقة الالتفات لأن علم المعاني ألصق به بالنحو. والالتفات يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب على الغيب، ومن الغيبة إلى التكلم، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان أحسن وأنشط للسامع، وإيقاظا للإصغاء إليه، ما يساعد الالتفات على فهم سليم للقرآن الكريم وإفهامه.

والإعجاز اللغوي والبلاغي في استعمال قراءة الإفراد في سياق الجمع أو العكس ليس لإرادة الجنس، بل لوجه بلاغي دقيق اقتضاه السياق لتعدد المعاني واتساقها .

والذي ثبت من خلال البحث أن القراءات القرآنية معجزة بلفظها ومعجزة برسمها وبمعانيها، ولا يزال إعجاز القراءات بحاجة إلى من يخرج أسراره من خلال البحث العلمي الدقيق لجزئيات الموضوع.

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم، محمد ، **المحجة في تجويد القرآن –مقرأ نافع– رواية ورش**، المكتبة السلفية، الدار البيضاء، ١٤١١هـ/١٩٩٠م .

٢. ابن الأثير، ضياء الدين ، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي، منشورات دار الرفاعي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

٣. ابن الجزري ،شمس الدين أبو الخير، **منجد المقرئين ومرشد الطالبين** ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٤. ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف ، **تقريب النشر في القراءات العشر**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٥. ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف، **التمهيد في علم التجويد**، تحقيق: على حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

٦. ابن الجزري، شمس الدين محمد بن محمد بن يوسف، **النشر في القراءات العشر**، تخريج الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م.

٧. ابن الزملكاني، كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم، **البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**، تحقيق: أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، ١٣٨٣هـ/١٩٦٤م.

٨. ابن الصانع، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، **شرح المفصل للزمخشري**، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٩. ابن المثنى، أبو عبيدة معمر ، **مجاز القرآن**، تحقيق: محمد فواد سزگين، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م.

١٠. ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٩٨هـ/١٩٦٩م.

١١. ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجـــار، دار الشؤون الثقافية، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

١٢. ابن جني، ابو الفتح عثمان، **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والايضاح عنها**، تحقيق : محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

١٣. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، تخريج: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٦٨هـ/١٩٤٨م.

١٤. ابن خالويه، الحسين بن أحمد ، **الحجة في القراءات السبع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٥. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي، **تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

١٦. ابن عقيل ، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري ، **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٧. ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، المكتبة العلمية ،بيروت، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

١٨. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية،، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

١٩. ابن مالك، بدر الدين محمد ابن الإمام جمال الدين محمد ، **شرح ابن الناظم على ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

٢٠. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٢١. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، **شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٣م.

٢٢. ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، **شرح قطر الندى وبل الصدى**، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، القاهرة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٢٣. أبو البقاء، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، **شرح المفصل للزمخشري**، قدم له: أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ /٢٠٠١م.

٢٤. أبو حيان أثير الدين الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٢٥. أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن أبي زَمَنِين **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٢٦. أبو موسى، محمد حسين ، **خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.

٢٧. الأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، **معاني القرآن** ، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١١هـ/١٩٩٠م.

٢٨. الأزدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد ، **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م

٢٩. الأفغاني، سعيد، **في أصول النحو**، دار الفكر، دمشق، ١٣٨٢هـ/١٩٦٣م.

٣٠. الآلوسي، **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣١. الأندلسي، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين، **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٣٢. البخاري، **صحيح مسلم بشرح النووي**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩١هـ/١٩٧٢م.

٣٣. بشر، كمال، **علم اللغة العام الأصوات** ، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ/١٩٩٠م.

٣٤. البناء، أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، **إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر**، تحقيق: أنس مهرة، دار الكتب العلمية، لبنان، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٣٥. البوطي، محمد سعيد رمضان، **من روائع القران**، مكتبة الفارابي، سوريا، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م.

٣٦. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب، **البيان والتبيين**، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

٣٧. الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

٣٨. الجرجاني، عبد القاهر، **دَرْجُ الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَر**، محقق القسم الأول: طلعت صلاح الفرحان، محقق القسم الثاني: محمد أديب شكور أمرير، دار الفكر، عمان، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.

٣٩. الجكني الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

٤٠. حبنكة، عبد الرحمن بن حسن، **البلاغة العربية**، دار القلم، دمشق، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٤١. الحمد والزعبي، علي توفيق ويوسف، **المعجم الوافي في النحو العربي**، الدار الجماهيرية، ليبيا، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

٤٢. حوّى، سعيد، **الأساس في التفسير**، دار السلام، القاهرة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤٣. خبيزة، محمود يعقوب، **مقال بعنوان الأحرف السبعة والقراءات القرآنية**، مجلة دار الحديث، المملكة المغربية، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٤٤. الخضري، محمد الأمين ، **الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ**، مطبعة الحسين الإسلامية، مصر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

٤٥. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي ، **تاريخ بغداد**، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

٤٦. خليل، السيد أحمد، **دراسات في القرآن**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م.

٤٧. داود، محمد محمد، **الصـــوائت والمعنى في العربية**، دار غريب للطباعة والنشـــر والتوزيع، القاهرة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٤٨. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسـلم بن قتيبة ، **أدب الكاتب أو أدب الكتّاب**، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، لبنان.

٤٩. الذهبي، شمس الدين، **معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار**، تحقيق، محمد سيد جاد الحق، دار الكتب العلمية الحديثة، مصر، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٥٠. الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، **مختار الصـــحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥١. الرافعي، مصـــطفى صـــادق، **إعجـاز القرآن والبلاغـة النبويـة**، دار الكتـاب العربي، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م.

٥٢. الرماني، علي بن عيســـى بن علي بن عبد الله، أبو الحســـن، **الحدود النحوية** ، تحقيق: إبراهيم السامرائي، دار الفكر، عمان، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤.

٥٣. الزجاج، إبراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق، **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٥٤. الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القران**، تخريج أحمد شـــمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٥٥. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٥٦. الزملكاني، كمال الدين عبدالواحد بن عبدالكريم بن خلف الأنصـاري، **البرهان الكاشـــف عـن إعجـاز القـرآن**، تحقيـق: خديجـة الحديثي، وأحمـد مطلـوب، مطبعـة العـاني، بغـداد، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٥٧. سبط الخياط البغدادي، أبو محمد عبد الله بن علي الحنبلي ، **الاختيار في القراءات العشر**، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر السبر، مطبعة الجامعة الإسلامية، الرياض، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٥٨. سلطان، منير، **بلاغة الكلمة والجملة والجمل**، معارف الإسكندرية، ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٥٩. سلطاني، محمد علي، **حجة القراءات في منهج النحاة**، مقال نشر في مجلة بحوث ودراسات في اللغة، التابعة لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عدد١، سنة ١٤٠٧هـ/١٩٩٧م.

٦٠. سيبويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب** ، تحقيق، عبد السلام هارون، دار الجيل ، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ، **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

٦٢. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين ، **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٦٣. شاهين، عبد الصبور ، **أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٧م.

٦٤. الشمري، عبد الناصر، **سورة الكهف دراسة دلالية**، رسالة ماجستير، تخصص: لسانيات اللغة العربية وتعليماتها، جامعة قاصدي مرباح بورقلة الجزائرية، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٦٥. الشيزري، مجد الدين أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر ، **البديع في نقد الشعر**، تحقيق: أحمد أحمد بدوي، وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإقليم الجنوبي، الإدارة العامة للثقافة.

٦٦. الصالح، صبحي، **مباحث في علوم القران**، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٢م.

٦٧. صبح، علي علي، **التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية**، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٦٨. الصـــغير، محمود أحمد، **القراءات الشـــاذة وتوجيهها النحوي**، دار الفكر، دمشـــق، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٦٩. عامر، فتحي، **فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٣٩٥هـ،/١٩٧٥م.

٧٠. عباس، فضـــل حســـن، **البلاغة فنونها وأفنانها**، دار الفرقان للنشـــر والتوزيع، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م.

٧١. عبد الرحمن، مروان محمد سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٧٢. عبد الرحمن، مروان محمد سعيد، **دراسة أسلوبية في سورة الكهف**، قُدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٧٣. عبد المطلب، محمد ، **البلاغة والأسلوبية**، دار نوبار للطباعة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٧٤. عتر، حسن ضياء الدين، **بينات المعجزة الخالدة**، دار النصر، حلب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٥م.

٧٥. عتر، نور الـدين ، **القران الكريم والـدراســـات الادبيـة**، مطبعـة ابن خلـدون-دمشـــق، ١٤٤٠هـ/١٩٨٩م.

٧٦. العطية، مختار، **الإيجاز في كلام العرب ونص الإعجاز**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٧٧. العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحســـين بن عبد الله ، **إملاء ما منَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات**، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٧٨. عمايرة، خليل أحمد، **في نحو اللغة وتراكيبها منهج وتطبيق**، عالم المعرفـة للنـشر والتوزيع، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٧٩. الغلاييني، مصطفى بن محمد سليم ، **جامع الدروس العربية**، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

٨٠. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، **معاني القرآن**، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة.

٨١. الفضلي، عبد الهادي، **القراءات القرآنية**، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م.

٨٢. الفقي، صبحي إبراهيم، **علم اللغة النصي بين النظرية و التطبيق دارسة تطبيقية على السور المكية**، دار قباء، القاهرة، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠ م.

٨٣. قابة، بن محمد الهادي، **القراءات القرآنية تاريخها ثبوتها حجيتها وأحكامها**، دار الغرب الإسلامي، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

٨٤. القاضي، عبد الفتاح، **البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة**، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتاب العربي، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٨٥. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين ، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٨٦. القزويني، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٨٧. قنيبي، حامد صادق ، **المشاهد في القرآن الكريم دراسة تحليلية وصفية**، الزرقاء، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٨٨. القيرواني، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، **تفسير يحيى بن سلام**، تقديم وتحقيق: هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٨٩. القيسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب ، **الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، تحقيق: محي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٩٠. القيسي، عودة الله، **سر الإعجاز في القرآن الكريم**، دار البشير، عمان، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٩١. الكردي، عز الدين محمد، **التقديم والتأخير في القرآن الكريم**، دار المعرفة، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٩٢. المارغني، أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن سليمان التونسي المالكي، **دليل الحيران على مورد الظمآن**، دار الحديث، القاهرة، ١٣٢٦هـ،١٩٠٨م.

٩٣. محيسن ، محمد سالم ، **القراءات وأثرها في علوم العربية** ، مكتبة الكليات الازهرية، القاهرة، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

٩٤. المدني، الشيخ محمد محمد، **القصص الهادف كما نراه في سورة الكهف**، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

٩٥. المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل ، **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م

٩٦. المرصفي، عبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس، **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، مكتبة طيبة.

٩٧. المصري، ابن أبي الأصمع، **تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن**، تحقيق، حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٩٨. مصطفى، محمود السيد حسن ، **الإعجاز اللغوي في القصة القرآنية**، مؤسسة شباب الجامعة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٩٩. المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد، **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، مكتبة وهبة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

١٠٠. مكرم ، عبد العال سالم ، و أحمد مختار، **معجم القراءات القرآنية**، جامعة الكويت، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م.

١٠١. النجار، محمد عبد العزيز ، **ضياء السالك إلى أوضح المسالك**، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

١٠٢. نحلة، محمود أحمد، **لغة القرآن في جزء عم**، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠١هـ،/١٩٨١م.

١٠٣. النديم، محمد بن اسحاق، **الفهرست**، تحقيق مصطفى الشويمي، الدار التونسية للنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

١٠٤. نصر، عطية قابل، **القبس الجامع لقراءة الامام نافع**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، السعودية، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.

١٠٥. النووي، **صحيح البخاري**، مطبعة إحياء التراث العربي، بيروت.

١٠٦. الهاشمي، السيد أحمد، **جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع**، دار إحياء التراث العربي،بيروت.